كيت شوبان

القُبلة

وقصص أخرى ..

ترجمة: خالد ناصر

اسم الكتاب : القُبلة وقصص أخرى (مجموعة قصصية)

اسم الكاتب : كيت شوبان

ترجمة : خالد ناصر

رقم الإيداع : ٢٢٩٨٠ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : 978-977-835-0777

الطبعة الأولى : ٢٠١٨

إخراج داخلي : هيام فهيم

صادر عن : مؤسسة زَحمَة كُـتَّاب للثقافة والنشر

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com

دار زحمة كتاب للنشر

za7ma_kotab_publishing

za7ma-kotab@hotmail.com

٠١٢٠٥١٠٠٥٩٦

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمؤسسة زَحمَة كُـتَّاب للثقافة والنشر

كيت شوبان

ولدت كيت شوبان في (٨ فبراير، عام ١٨٥٠م) في سانت لويس بولاية ميتسوري - الولايات المتحدة. تعد واحدة من اوائل الكاتبات النسويات في القرن العشرين، وغالبا ينسب إليها الفضل في تقدم الحركة الأدبية النسوية الحديثة. كانت تتبع مسارًا تقليديا في حياتها كربة منزل حتى غيرَ موت زوجها المفاجئ مسار حياتها. أصبحت كاتبة قصة قصيرة موهوبة وكان تأثرها في المقام الأول بمؤلف القصة القصيرة الفرنسي "جي دي موباسان".

اشتهرت برواية اليقظة، وهي قصة رائعة تدور حول شخصية لم تأخذ حقها كإمرأة، وإدراكها المؤلم بالقيود التي تتعرض لها المرأة دائما، وسلب إرادتها في المزيد من البحث والمتعة في الحياة.

علقت على تأثرها بالكاتب الفرنسي "موباسان" :

".... قرأت قصصه وأعجبت بها، كان بها الحياة وليس الخيال، حيث توجد المؤامرات والطريقة القديمة في فرز المرحلة بطريقة غامضة، لا يمكن تصور هذا، لقد كانت طريقته ضرورية لفن القصة، لقد هرب موباسان من العادات والتقاليد، التي كانت تمتلكه ونظر إلى الحياه من خلال كيانه وعينيه، فقد أخبرنا بطريقة مباشرة وبسيطة بكل ما رآه ....".

تقع أحداث أغلب قصص الكاتبة في شمال وسط لويزيانا، وأخرى في "نتشتوشس". نشرت قصصها في العديد من المجلات المحلية. ولا تزال واحدة من أفضل الكاتبات، بكلماتها الإستثنائية، استخدام السخرية، والكآبات المثيرة.

يعتقد البعض أن النسوية الحديثة كانت غالبة في كآباتها، ولكن لا يحتاج القارئ إلا بالنظر في قصتها القصيرة التي ترجع لعام ١٨٩٤ "قصة ساعة" لتدعيم أي إعتقاد أو إيحاء، فينبغي على القارئ أن يربط بين الشخصية الرئيسية في قصتها "قصة ساعة" بظروف كيت شوبان، التي بدأت بوفاة زوجها والذي دفعها في

نهاية المطاف إلى أن تؤدي دور أكبر من زوجة، كأم لسِت أطفال، ثم الربط بحياتها كأديبة.

بعد قراءة قصة ساعة من الجدير للقارئ أن يوازن الميزان ويحول إنتباهه إلى عمل يحتضن الأدوار التقليدية للنساء بدلًا من مواجهتها، فهي قصة قصيرة جميلة مليئة بالحب ومولودة من قلب الأم.

بدأت كيت شوبان في الكتابة بعد وفاة زوجها في مزرعة بولاية لويزيانا في عام ١٨٨٢ وكانت تكافح من الناحية المادية، أقنعتها والدتها بالعودة إلى سانت لويس، ولكنها ماتت بعد ذلك بفترة قصيرة وتركتها وحيدة، بدأت تعاني من فقدان الزوج والأم وساعدها الطبيب الخاص لمحاربة الإكتئاب الحاد، بالكتابة كعلاج، فهي وسيله لإخراج طاقتها ودعمها كمصدر للدخل.

في أوائل ١٨٩٠، كانت شوبان تقوم بكتابة القصص القصيرة، المقالات والترجمات التي ظهرت في الدوريات والمجلات الأدبية الموجودة في سانت لويس، نُظر إلى شوبان بأنها كاتبة محلية وأن صفاتها الأدبية كانت ضعيفة، فلم يتم تشجيعها الكامل بسبب

النقد الشديد في كتابتها للرواية، لذلك تحولت إلى كتابة القصة القصيرة بشكل دائم.

كانت العبودية وحقوق المرأة واقعين أدرجتهما في العديد من قصصها وتصوراتها، حيث أظهرت النساء بطريقة أقل من التقليدية، مع الاحتياجات الفردية لهن، وربما لم يتم إكتشاف مناداتها لحقوق المرأة إلا بعد عدة سنوات، حيث كانت امرأة سابقة لوقتها.

ومن الخطأ الفادح أن نرفض كيت شوبان بإعتبارها كاتبة نسوية فقط، فقد كانت كاتبه من الدرجة الأولى، وتعرف قدرتها على إنعاش الحياة من صفحة فارغة تجد بها المساواة. فالمطلوب فقط أن تقوم بإعداد قلبك وعقلك قبل قراءة أعمال كيت شوبان.

توفت كيت شوبان في ٢٢ أغسطس عام ١٩٠٤ بسبب نزيف في المخ تاركة كتابات عظيمة أثرت الأدب وساعدت في تطوير وانتشار الأدب النسوي.

القُبلة، وقصص أخرى ..

مجموعتنا هذه، عبارة عن قصص قصيرة كُتبت في القرن العشرين ونشرت متقطعة في بعض المجلات المحلية الأمريكية منها مجلة "أتلانتيك الشهرية" و "فوجو" و "يوث شامبيون" و "ذا سينشري ماجازين".

المجموعة عبارة عن ٧ قصص قصيرة وهم :

١- ليلة في أكاديا.

شاب يدعى تيليسفور، قدم على الزواج وكان في حيرة أن يختار فتاة كي يتزوج منها، فكر في أن يتزوج إحدى بنات بلدته ولكنه لم يحسم قراره في واحدة منهم، أراد أن يقضي يومًا في ماركسفيل بأكاديا، وركب القطار ثم التقى بفتاة تدعى "زايدا" التي اقترحت عليه أن يحضر حفل فوشيه الراقص، وبالفعل ذهبا سويا، ورافقها طوال الوقت. حتى يتفاجئ أنها ذاهبة لكي

تتزوج من شخص يدعى أندريه باسكال دون موافقة أهلها، نصحها بالعودة ولكنها صممت.

٢ – رسائلها.

مجموعة رسائل من زوجة إلى زوجها تحمل سر خطير، تتركها وتطلب منه أن يحرقها، فيطعمها للنهر ثم يظل يتسائل عن هذا السر الخطير الذي أخفته عنه زوجته طيلة حياتهما، حتى يدرك في النهاية أن الوحيد الذي يمكنه إخباره بهذا السر هو النهر الذي ألقى في أعماقه هذه الرسائل.

٣ – القبلة.

هذه القصة القصيرة – سريعة الأحداث - تدور حول فتاة تدعى ناتاليا، التي تقيم علاقة مع "السيد هارفي" صديق شقيقها، وفي الوقت نفسه تجلس مع رجل ثري تريد الإرتباط به يدعى السيد برانتين. وفي لحظة ما أثناء جلوسهما، دخل السيد هارفي وقبلها قُبلة حميمة. إرتبك السيد برانتين وترك المكان غاضباً من السيد هارفي لتقبيلها أمامه.

بعد يوم ،أقنعت ناتاليا السيد برانتين بكذبة أن السيد هارفي، ليس إلا صديقًا حميما لأخيها.

٤ – صدى في ساعة.

هناك سيدة اسمها "لويز مالارد" تعاني من مشاكل في القلب. أتاها خبر وفاة زوجها عن طريق أختها جوزفين وصديق زوجها ريتشارد الذي أكد أن اسم الزوج كان في قائمة المتوفيين، بكت وقضت الكثير من الوقت في البكاء مع هجران للجميع. ذهبت إلى غرفتها وحدها، تحدق خارج النافذة، تراقب الأشجار والسماء، حتى تغيرت مشاعرها بالكامل.

٥ – زوج من الجوارب الحريرية.

قصة غامضة تدور حول السيدة سومرز، زوجة وأم. عائلتها فقيرة للغاية، إمتلكت مبلغ من المال اعتبرته كبيرًا الى حد ما، تحاول ان تشتري بعض الملابس الجديدة لأطفالها وقررت أن تعيش يومًا وكأنها من الأغنياء.

٦ - الندم.

بدأ كل شئ مع إمرأة تدعى "مامزيل أوريلي" التي كانت لديها شخصية جيدة وقوية جدا، لم تقع أبدًا في الحب ولم يأت ببالها فكرة الزواج، وهى في سن العشرين تقدم إليها شخص ما، لكنها رفضته ولم تندم على قرارها. كان هناك جارة تُدعى "أوديل" وكانت لديها أربعة أطفال (مارسيلين، مارسيليت، تاينومي، لودي).

طلبت أوديل من مامزيل الإعتناء بأطفالها لأيام حتى تعود. فكرت مامزيل في الأطفال وأن وجودهم غير مألوف للغاية بالنسبة إليها، كانت تظن أن الأطفال مثل الخنازير الصغيرة، لكنها كانت مخطئة.

٧ – السجائر المصرية.

أستلمت سيدة علبة تحتوي على ست سجائر مصرية من صديقها المهندس المعماري الذي كان في زيارة للقاهرة، كانت يدوية الصنع وموضوعة في عبوة غامضة.

عند تدخين أول سيجارة، إنتقلت إلى عالم آخر برؤية غريبة ومزعجة، حلمت بأنها مهجورة في الصحراء وحدها، شعرت بالأحاسيس الحادة للحب والخسارة والحزن الإنتحاري.

خالد ناصر

ليلة في أكاديا

لم يكن هناك شئ يمكن فعله في المزرعة، لذلك فكر تيليسفور الذي كان في جيبه بضعة دولارات أن يذهب ليقضي أجازة الأحد في محيط ماركسفيل. لا يوجد الكثير ليفعله في محيط ماركسفيل مثلما يفعل بجوار مزرعته الصغيرة. لم يجد هناك إلفينا وأمارانتي أو بنات السيدة فالتور لكي يرهقوه بالإرتياب أو يعذبوه بالحيرة ويحولوا روحه إلى كوكب للرياح الشديدة التي يعشقها.

كان تيليسفور في الثامن والعشرين من عمره. شعر أنه بحاجة لزوجة. لقد كان منزله بدون إمرأة مثل معبد فارغ بلا مذبح أو قُربان. لذا، فقد أدرك تمامًا أنه من الضروري بعد أن فكر عشر مرات على الأقل في السنة الماضية على اقتراح الزواج من إحدى شابات الحي. وهنا تكمن المشكلة التي واجهها تيليسفور في اتخاذ قراره. كانت عيون إلفينا جميلة وغالبًا ما كانت تجذبه إلى أن يُصرح لها، ولكن بشرتها كانت داكنة، تحركاتها بطيئة وثقيلة، كان يشك أن لديها دم هندي، وجميعنا يعرف أن الغدر

في الدم الهندي. لم يكن لأمارانتي أي من هذه العوائق في شخصيتها. بالرغم من أنها لا تملك عينين جميلتين مثل إلفينا، إلا أن بشرتها جميلة، ولأنها نحيلة تبدو تحركاتها سريعة في إدارة شؤون منزلها، أو أثناء سيرها في الممرات والذهاب إلى السوق أو الكنيسة.

وصل تيليسفور إلى إعتقاد كبير بأن أمارانتي ستكون زوجة ممتازة. فقرر أنه في يوم سيذهب ويقدم نفسه لها. إلا أن السيدة فالتور رأته يعبر الطريق فأغرته بأن يشرب معها القهوة. لم يكن الرجل سيئًا كي يرفض طلبها، أو أنه لا يزال غير مدرك لسحر وإنجازات والدة الفتيات - فالتور.

وأخيراً، كانت أرملة جاناتشي مُغرية جدا أكثر من أنها جميلة، مع وجود جزء كبير من الممتلكات بحوزتها.

كان تيليسفور يريد فرصة للسعادة أو حتى النجاح مع أرملة جاناتشي التي تزوجت رجلًا أصغر سنًا. بهذه الظروف المُحيرة، شعر تيليسفور أحيانا أنه مجبر على الهروب كي يُغير بيئته لمدة يوم أو يومين وبالتالي يحصل على أفكار جديدة وتتغير وجهة نظره.

كان صباح يوم السبت وقد قرر أن يقضي يوم الأحد في محيط ماركسفيل، لكن بعد ظُهر اليوم نفسه ذهب إلى محطة البلدة منتظرًا القطار المتجه جنوبا.

كان شابًا نشيطًا وقويًا مع مميزات شديدة وجيدة، قراراته صائبة وصارمة - على الرغم من تردده في إختيار الزوجة.

كان يرتدي ملابس بلون أزرق داكن مُختارة بعناية من متجر الملابس، وقد كانت مُصممة بشكل جيد، فأي شئ يمتلكه تيليسفور لابد وأن يكون ملائمًا. وقد قام بحلق ذقنه وهذب شعره ثم حمل مظلتُه. كان لديه إنحراف بسيط في عين واحدة. ارتدى قبعة من القش ذات لون رمادي تقليدي، لا لسبب آخر سوى أن عمه كان يرتديها فأعطاه تلك القبعة كهدية منه. خطط لحياته الكاملة ووضع الخطوط المباشره لعمه، الذي كان يعتقد بشكل جيد في سمو وارتقاء الشباب.

لم يعرف عمه القراءة أو الكتابة، وبالتالي فإن وجوده كان مكسبًا له كي يحصل على مايريد إنجازه.

سعى العم وراء صيد الطيور والأسماك، وجمع الطحالب. تلك الهوايات التي يعتبرها أبن أخيه - تيليسفور- شئ مقيت.

أما فيما يتعلق بحمل المظلة، فقد كان تيليسفور يسير بطول المزرعة أثناء ري المحاصيل قبل أن يفكر في أي شئ آخر. وبإختصار فقد نجح تيليسفور من خلال نصائحه أن يشكل مسار مختلف لعمه بإدارته وقيادته الجيدة إلى حد ما. بالإجتهاد والاحترام الدائم.

كان الطقس في شهر إبريل دافئاً قليلاً. عربة القطار لم تكن مزدحمة بشكل كبير، مما جعل تيليسفور سعيد الحظ في أن يؤمن لنفسه مقعدًا بجوار النافذة بالجانب الظليل. لم يكن على دراية كبيرة بالسفر عبر القطار، وكانت رحلاته غالبا على ظهر الخيول أو في عربات تجرها الدواب، أما رحلته القصيره هذه، محط أمل واهتمام له.

لم يكن هناك أي اشخاص يعرفهم جيدا بما فيه الكفاية كي يتحدث معهم أثناء رحلته : محامي المقاطعة الذي عرفه بالنظر، كاهن فرنسي من بلدة نتشتوشس بولاية لويزيانا، وايضا بعض

الوجوه المألوفة من سكان بلدته. لم يهتم كثيرًا بالتحدث إلى أي شخص، نظر عبر النافذة إلى حقول الذرة والقطن وشعر بإرتياح مع صمت في تأمل المحاصيل. كانت هناك فتاة صغيرة جالسة بالقطار على نحو قريب منه، وأيضًا فتيات يدخلن ويخرجن إلى العربة على فترات، ربما كان الصخب وقت وصول الفتاة هو ما جذب إهتمام تيليسفور لها.

ودَعت والدها ولوحت له من خلال النافذة المليئة بالغبار، كانت الشمس بإتجاه المقعد الذي ستجلس عليه. بدت متحمسة ومفعمة بالحيوية والنشاط، جرّت حزمة كبيرة وحملتها بحرص ثم وضعتها على مقعد أمامها. لم تكن الفتاة بالطويلة ولا القصيرة، بالبدينة ولا النحيلة، بالجميلة ولا القبيحة.

كانت ترتدي ثوب شفاف، متمزق قليلًا من الظهر، لها رقبة ناعمة يلتصق بها بعض من خصلات الشعر الناعمة على شكل حلقات، قُبعتها من القش الأبيض يتدلى منها بعض من زهور البانسي، وترتدي قفازات باللون الرمادي. بدت مُحترة جدًا وظلت تمسح على وجهها، بحثت عن مروحتها فلم تجدها، ثم

أخذت تُروح على وجهها بمنديل، وفي النهاية قامت بمحاولة لفتح النافذة وكأنها تحاول تحريك ضفاف النهر الأحمر !

كان تيليسفور يراقبها طوال الوقت ،وجدها تحاول فقام على الفور بمساعدتها. لكن النافذة لا يمكن فتحها بعد أن حاول وأهدر كمية من الطاقة كانت تُمكنه من تشغيل المحراث ليوم، وفي النهاية قدم لها كرسيه بجانب الظل.

اعترضت وقالت :

- لن يكون هناك مجال للحزمة، اقترح ترك الحزمة بمكانها فوافقت على هذا وظلت واضعة عينها عليها. ثم جلست مكان تيليسفور بالجانب الظليل.

تساءل في نفسه عما إذا كانت ستتحدث معه. كان يخشى أن تكون أخذت عنه إنطباعًا أنه عازف طبل غربي وبهذا الإنطباع لن تتحدث معه. فنساء الريف تحذر بناتهن من التحدث إلى الغرباء في القطارات، ولكن الفتاة لم تولد ببلدة أفويليس، لكي لا تتكلم. قالت وهى تنظر إلى الحزمة :

- لا أريد أن يحدث لها أي شئ.

أكد لها، وهو ينظر تجاه نظراتها.

- كل شئ على مايرام.

قالت :

- آخر مرة عندما قررت الذهاب إلى حفل فوشيه الراقص وقعت في المطر وأنا في طريقي إلى منزل ابن عمي وحدث ماحدث بفستاني ولم يعد الأمر كما كان، فالفستان كنت أرتديه وكأني بقيت اسبوعًا من دون عمل.

طمأنها، وهو ينظر إلى السماء واستكمل :

-لا مزيد من المطر اليوم. يمكنك أن تأخذي مظلتي إذا سقط المطر.

- أوه، لا ! سأقوم بلف مُشمع وقتها. هل ستذهب إلى حفل فوشيه ؟ لم ألتقي بك هناك من قبل، ولكن يبدو أنني أعرف وجهك، من الأكيد أنك أتيت من مقاطعة نتشتوشس.

- أبناء عمي عائلة فيدوو، يعيشون هناك. أنا اعيش في مكاني الخاص في مقاطعة رابيدس بولاية لويزيانا منذ عام ١٨٩٢.

تساءل في نفسه عما إذا كانت ستتابع سؤالها فيما يتعلق بالحفل. إذا عاودت سؤالها، فسيكون جاهزًا للإجابة، انه قرر الذهاب إلى هناك. لكنها غيرت الموضوع بشكل واضح وتكلمت بأمورٍ لم تكن تهمه، ثم صمتت ونظرت إلى النافذة.

توقف القطار في مكان لم يكن قرية أو حتى بلدة صغيرة ينزلون بها. المحطة كانت على حافة حقل قطن. في مكان قريب من مكتب البريد والسوق.

كان هناك مساكن، وعدد قليل من الغرف الواسعة. وهذه المساكن على مسافة قريبة من منزل ابن عمها "جولز ترودون" الذي قررت الفتاة الذهاب إليه. كان هناك الكثير من الطرق أمامهم، لم تتردد في قبول عرض تيليسفور ليحمل الحزمة أثناء السير.

دفعت نفسها بجرأة وسارت بحرية وسهولة مثل إمرأة زنجية. لا يوجد إحتياطات فيما تفعله. حتى الآن لا يوجد أي نقص في أنوثتها. لقد أخذت الهواء والقوة من شاب إتخذ قرارًا لها ولمن حولها.

- لقد قُلت أن اسمك فيدوو؟

سألته وهى تتمعن بشكل كامل في تيليسفور. عيناها تتغلغل - لا تخترق بحدة - وبنظرات جادة داكنة، وبقليل من التمعن. لاحظ تيليسفور أن عيونها جميلة ليست واسعة مثل إلفينا، ولكنها أكثر جمالا في تعبيراتها. بدأوا في السير قبل أن يتجهوا إلى الممر المؤدي إلى منزل ترودون. كانت الشمس تغرُب والهواء كان مُنعشًا على عكس جو القطار الخانِق.

عاودت سؤالها :

- لقد قلت أن اسمك فيدوو

قال :

- لا، اسمي تيليسفور باكيت.

- اسمي زايدا ترودون. يبدو أنك تعرفني، أليس كذلك ؟

أجاب :

- يبدو لي ذلك بطريقة ما.

لقد كانوا راضين ومدركين هذا الشعور بالأُلفة قبل المعرفة الشخصية بدون التعمق الشديد بلا داعي. وفي الوقت الذي اقتربوا فيه من الوصول إلى منزل ترودون، عرفَ أنها عاشت كثيرا في "بايو" مع والديها وعدد من الإخوة والأخوات الأصغر سنًا.

كان سكنها مملًا إلى حد ما، غالبا ماكانت تتدخل عندما تقع زوجة ابن عمها في مشاكل داخلية معقدة، أو مثلما تفعل الآن، سوف تذهب إلى حفل فوشيه الراقص يوم السبت وأنها ستكون مهمة ورائعة بشكل غير عادي. إعتقدت أنه سيوجد أشخاص هناك من ماركسفيل وغالبًا يتواجد هناك الكثير من السادة الآتين من الاسكندرية.

تيليسفور لم يكن متحفظًا مثلها. وبدا أنهما مثل المعارف القدامى حتى وصلوا إلى بوابة ترودون. كانت زوجته واقفة في الشرفة الخارجية وعلى ذراعها طفلها وأربعة اطفال آخرون حُفاة الأقدام يجلسون في صف على درج المنزل، ينتظرون أيضًا، ولكن بدا عليهم الذعر والخوف عندما رأوا شخص غريب.

فتح تيليسفور الباب للفتاة وظل بالخارج حتى قدمته زايدا لزوجة ابن عمها رسمياً فأصرت على دخوله. ولكنه ظل واقفًا، وسحب ساعته الفضية ناظراً إليها وكأنه على موعد عمل. كان دائما يحمل ساعة، كان عمه يخبره بالوقت عن طريق الشمس، أو بالفطرة مثل الحيوان. كان مصممًا على أن يسير لحفل فوشيه على بعد ميلين، حيث يترقب تناول العشاء ووجود مسكن، بالإضافة إلى الاستمتاع بالحفل.

قالها تيليسفور لزايدا في ترقب عندما أبتعد.

- حسنا أعتقد أنني سأراك الليلة.

لم يكن هناك إجابة واضحة من زايدا.

تساءل تيليسفور عندما خرج، لماذا لم يقبل الدعوة للدخول؟.

لم يندم على فعل ذلك. يتساءل ما الذي دفعه للتراجع. فقد كان من الطبيعي أن يجلس في الشرفة بينما كانت زايدا تستعد لحفل الرقص، ويتناول العشاء مع العائلة ثم يرافقهم إلى فوشيه.

كان الوضع كله جديدا إلى حد ما بالنسبه له، حيث هيأ نفسه بشكل غير متوقع كي يعرف ماذا يحدث. كانت الفتاة قد أثرت

فيه بطريقة ما. طريقة جديدة وغير معتادة، ليس كما كان حاله دائمًا. لا يستطيع أن يتذكر تفاصيل شخصيتها لكنه يتذكر مثل هذه التفاصيل في شخصية "أمارانتي أو فالتور" أيا منهما. عندما حاول أن يفكر بها لم يستطيع ذلك على الاطلاق، فيبدو أنه استوعبها بطريقه ما.

لم يكن عقله مشغولا بها مثلما كانت حواسه. وفي تلك اللحظة كان يتطلع إلى الحفل - لا شك بذلك. وبعدها لا يعرف ما الذي يتطلع إليه ! هوغير مهتم، فبعد ذلك لن يحدث فرق لأنه توقع أن يحدث شئ صادم بعد الرقص في حفل فوشيه، كان يبتسم فقط إمتنانا لعدم ذهابه إلى هناك من قبل.

كان نفس المشهد يحدث كل سبت عِندَ فوشيه!، مشهد ثائر لحراس السلام في مكان توجد فيه السلع بكثرة. زجاجات الشمبانيا تخرج منها الفقاعات وتنفجر في الهواء الطلق. توعد فوشيه بغلظة وسب بغضب السوداء الكبيرة "دوتيه" بسبب بذخها في الشراب، وسبها بجميع اسماء وانواع الحيوانات التي جاءت بباله. تكلم بقوة في وجهها، ثم عادت إلى الوعاء المملوء

بالدجاج ولحم الخنزير المفروم وقطع البصل. لقد كان يريد منها أن تطهو للخنازير، كان عليه أن يقول ذلك فقط، كانت تعرف كيف تطهو للخنازير وكيف تطهو للناس من بلدة أفويليس.

رائحة الشمبانيا كانت جيدة وتيليسفور سيحب طعمها. كانت دوتيه تسحب عصا خشبية من النار فدفعها فوشيه مرة اخرى للنار بشكل غير لائق تحت الوعاء، بينما تمتمت وهى تضمها بجانب مشتعل من النار.

-من الجيد القيام بهذه الأمور !

ولكنها كانت تجامل عندما أخذت رقاقة متبخرة لتيليسفور، وأكدت له أنه غير مناسب لرجل مسيحي أو شخص مهذب أن يُصبر نفسه بالطعام حتى منتصف الليل. إنطلق تيليسفور، تهندم وهيأ نفسه وتجول ناظراً إلى محيط المنزل الضخم الواسع. الذي تألف غالباً من شرفات خارجية متهالكة ومتدهورة بكل طابق. كانت أشجار البلوط والزنزلخت تنتشر في الفناء، وعلى طول السياج بمسافة جيدة ينتشر خطًا من أشجار التوت. كان خارج الطريق أناسٌ جاءوا إلى الحفل وربطوا أحصنتهم وعرباتهم.

بدأ الظلام يحل وتيليسفور ينظر خارجًا عبر الأشجار فيستطيع رؤيتها من كل الاتجاهات. بدت المهور الكريولية الصغيرة تركض في خط يشبه سباق الخيل من مسافة بعيدة. كانت العربات التي تجرها البغال وكأنها عربات لُعب أطفال. قد تكون زايدا من بين القادمين، الطائرين والزاحفين قبل حلول الظلام الذي يتسلل من الأشجار البعيدة. كان يأمل ذلك، ولكنه لم يصدق مجيئها في هذا الوقت لأنها بالكاد ستأخذ فترة في ارتداء الثياب.

أضاء فوشيه المصابيح بشكل صاخب، بمساعدة صبي أسمر غير مهذب كان ينوي أن يرسله إلى الجزار لكي يقطعه أجزاء ويرميه مثل الملح في برميل مثلما فعلت امرأة "كولفاكس" مع زوجها القديم - وهو مصير مناسب لغباء هذا الطفل الغير مهذب.

وصل الموسيقيون الزنوج : إثنان من عازفي الكمان وعازف الأكورديون. كانوا يشربون الويسكي من الزجاجات السوداء والتي مرت عليهم من واحد إلى آخر. لم يكونوا في أفضل حالاتهم لأنهم إستهلكوا الكثير من زجاجات الويسكي.

أتت الفتيات في العربات وعلى الأحصنة من مسافات بعيدة، يرتدين في الغالب، فساتين كاليكو وقبعات، ثم ذهبوا في وقت واحد إلى الغرفة العليا، وبعد ذلك سيظهرن متزيناتٍ بأشرطة، واضعات على وجوههن المساحيق ولا يبدو أبدا عليهن أي أثار للحُمرة.

كان معظم الضيوف متجمعين عندما وصلت زايدا مع ابن عمها في عربة بمقعدين تجرها المُهر فمن الطبيعي أن يعبروا عن مجيئها. قام ترودون بإبعاد المُهر بشراسة من أمام أولئك المتجمعين لكي يخلق إنطباعا ما. لقد أوقف معظم الرجال عرباتهم في الخارج وسمحوا لنساء بلدتهم السير بجوار شجر التوت.

لكن في الحقيقة الإنطباع الرائع الذي أُنتج، عندما رمت زايدا شالها الخفيف جانباً في سطوعٍ كامل من مصابيح الكيروسين. فبدت فعلياً بيضاء من الرأس إلى القدم، حتى نعالها كانت بيضاء - لا أحد صدق هذا، ناهيك عن أن نعليها كانا زوج أسود قديم وقد كانت غطتهم بقطع من وشاحها الأول.

لا يوجد وصف لفستانها، كان رقيقًا مثل مسحوق البودرة.

لا عجب من أنها تعاملت مع ذلك بإجلال !. مروحتها البيضاء مُغطاة بأشياء تتلألأ من صُنعها خاطتهم في كل مكان، في حِزامها وحتى شعرها البني، وعلى كل ذلك قامت ببخ رذاذ زهر البرتقال.

رجلان بجوار السور الحديدي يطلقان الصافرات تعبيرا عن الإعجاب.

قالتها بصرخة سيدة تحمل طفل على ذراعيها.

- تبدين وكأنك إمرأة متزوجة، يا زايدا.

بعض الفتيات ضحكن ضحكات مكبوتة وزايدا تُروِح بمروحتها. كانت أصوات النساء بدون استثناء حادة وصاخبة والرجال ناعمة ومنخفضة.

ذهبت زايدا بإتجاه تيليسفور وكأنه صديق قديم له قيمته وإحترامه.

- إنه أنت ؟

تردد تيليسفور في البداية أن يقترب، ولكن بدافع الصداقة الواضحة توجه بإبتسامة إلى الأمام وأمسك بيدها. نظر إليه الرجال بشكل مثير للريبة، مُتعجبين من مظهره الأنيق واعتبروه فضولي وعدواني مُحبِط.

كيف لمعت عيون زايدا الآن ؟! يا لها من أسنان جميلة بدت عندما ضحكت، ماذا عن فمها ! كانت شفتيها ملهمة، مُبشرة بشئ يتذكره في الليل وينمو مع تفكيره التواق لليوم التالي. بالكلام الدقيق، قد لا يكون كل ذلك تمامًا. ولكن على كل حال، هذه هى الطريقة التي فكر بها تيليسفور.

بدأ يأخذ مظهرها بعين الإعتبار : أنفها، عيناها وشعرها. عندما تركته وذهبت للرقص مع إبن عمها "جولز" في أول مرة، اتكأ على عامود، وأخذ يفكر في عينيها، أنفها، أذنيها، شفتيها، شعرها، ظهرها ورقبتها الناعمة. وبعد ذلك أصبح المكان يسوده الهرج والمرج، كان الموسيقيون مستعدين، يتجولون بالداخل وينادون الشخصيات. كانت الأقدام تدق في الرقص، يتطاير الغبار، وأصوات النساء ممتزجة ومرتفعة. تشبه التشويش وصياح الطيور

الشديد عند الصباح، بينما ضحك الرجال بحدة. ولكن لو كان هناك واحدًا قد فكر في إسكات فوشيه، لأصبحت الضوضاء أقل. فقد كانت فُكاهته الجميلة تنتشر في كل مكان، مثل الهواء. كان أعلى من كل الضوضاء، أكثر وضوحا من الغُبار.

نادى الولد الأسمر (المتجه إلى السكين) بـ "ولدي" وأرسله ليُحلق هنا وهناك. إبتسم في وجه "دوتيه" عندما تذوق الشامبانيا وقال :

- أنتي التي أعرفها يا ابنتي.

رقص تيليسفور مع زايدا واتكأ مرة أخرى على العامود، ثم عاد للرقص ثم اتكأ مرة أخرى على العامود، كرر هذا أكثر من مرة. اعتقدت أمهات الفتيات الأخريات بأن لديه سلوك سئ مثل الخنزير. قرر أن يرقص مرة أخرى مع زايدا، ذهب ليبحث عنها وهو يحمل شالها الذي أعطته إياه.

سألته عندما وجدها :

- كم الوقت ؟.

وقفوا تحت واحداً من مصابيح الكيروسين في الساحة الأمامية، وجلب ساعته الفضية. يبدو أن زايدا مُتعبة وأقل إثارة من ذي قبل.

قال لها :

- إنها الثانية عشر إلا أربعة عشر دقيقة بالضبط.

- أتمنى أن تكون على ما يرام مع جولز، انظُر في حجرة البوكر إذا كان هناك تعال وأخبرني.

جولز رقص مع كل الفتيات الجميلات. عرفت أن من عاداته بعد إنجاز هذا العمل الرائع يذهب إلى غرفة لعب البوكر.

سألها :

- هل ستنتظريني حتى أعود ؟.

- سأنتظر، اذهب.

انتظرت ولكن عادت للخلف قليلًا بإتجاه الظل. تيليسفور لم يتأخر وحين عاد إنقبض قلبه من الخوف عندما لم يراها في الحال حيث أنه تركها تحت المصباح ولكنه وجدها في الظل فقال لها:

- نعم، هو يلعب البوكر مع فوشيه وآخرين لا اعرفهم بالداخل.

سألته :

-هل يبدو جيدا ؟.

فأجابها :

- لقد ارتدي معطفه، يبدو أنه سيمكث لساعة أو ساعتين من الوقت.

- أعطني شالي.

سألها وهو يتقدم ويلف الشال حولها.

سحبت الشال عن كتفيها، استدارت كما لو أنها تتركه، ولكن بدا هناك دافع مفاجئ قويًا قام بتحريكها، فأضافت :

- تعالى معي لنسير قليلًا.

تقدموا بضع خطوات مُتعبه أدت بهم إلى الفناء. تبعها تيليسفور بخطوات متعثرة. فظن الذين نظروا إليهم أنهم خرجوا ليستنشقوا الهواء، كانت أشعة الضوء المنبعثة من المنزل متقطعة وغير واضحة مما أدى إلى تعمق الظلام، زجاجات الشامبانيا الفارغة تبدو كالجمر. كان هناك أصوات هادئة تاتي من بين الأشجار.

زايدا برفقة تيليسفور، خرجا حيث العربات والخيول المربوطة بطول السياج، تقدمت بحرص وأمسكت تنورتها كما لو أنها تخشى من بقع الندى أو الغبار.

قالت له :

- عربة جولز هناك أحضرها من فضلك.

فعل مثلما أمرت وشد على المُهر، ثم قادها حتى وقفت في منتصف الطريق.

سألها :

- هل ستذهبين للمنزل ؟.

- منزلي ! . ركبت وأجلست نفسها بالداخل.

- لا لست ذاهبة إلى المنزل.

كان يمسك بلجام المُهر بيد واحدة.

- هل كنتِ ذاهبة ؟

- هل يتضح لكَ أني كنت ذاهبة ؟

- أنتِ لن تذهبي في هذا الوقت من الليل وحدك.

ابتسمت له وقالت :

- اعتقدت أنني خائفة منك.

في الوقت نفسه إندفعت المُهر إلى الأمام بوحشية، جعلت تيليسفور يشعر بالغثيان قليلًا. وكذلك كان هناك وثب وحركة داخل العربة وهو يجلس بجانب زايدا.

كرر كلامه :

- أنتِ لن تذهبي في هذا الوقت من الليل وحدك.

لم تكن المسأله مطروحه الآن، لقد كان تأكيدًا، لم يكن هناك رفض أو جدال حولها.

زايدا أدركت هذا، وسار الواقع في صمت.

لا يوجد حيوان يتحرك برشاقة عبر حدائق أكاديا كمُهر الكريول الصغير لأنه لا يهرول، بدت الحدود كأنها في متناول يده. القبعه تهتز وتمايل، أحكمتها زايدا بشالها، بينما أدار تيليسفور قبعته فوق عينه اليمنى وقدم لها عرضًا بالقيادة ولكنه لا يعرف الطريق فلن تسمح له. سرعان ما وصلوا إلى الغابة. لم يكن هناك أي حيوان يمكنه أن يسير ببطء من خلال الطريق المُشجر مثل مُهر الكريول الصغير، إنه حيوان لم يتم إكتشافه بعد في أكاديا، بدا مرعوبًا من ظلام الغابة، رأسه تتدلى، رفع أقدامه كما لو كان وزن كل حافر ألف رطل من الرصاص. إذا كان هناك أي شخص غير مُلم بسلالة المُهر يتخيل في بعض الأحيان أنه يقف ساكنًا، لكن زايدا وتيليسفور يعرفونها بشكل أفضل. تنهدت زايدا بصعوبة بسبب إحكامها للجام، رفع تيليسفور قبعته وتركها تتأرجح على مؤخرة رأسه.

تكلمت أخيرًا بعد أن كانت آخر كلماتها عندما رفضت عرض تيليسفور للقيادة :

- كيف لا تسألني إلى أين أذهب ؟

- أوه، ليس عندي مانع إلى أي مكان تذهبين.

- إذا لم يكن عندك مانع إلى أي مكان أذهب، فسوف أخبرك.

لكنها ترددت. فلم يبدو عليه أي فضول للمعرفه ولم يحثها على ذلك.

قالت :

- أنا ذاهبة للزواج

لقد صاح بكلمات غير واضحة - وكأنها نبرة حيوان طُعن بسكين مفاجئ، الآن شعرَ بكم كانت الغابه حالكة قبل أن تبدو جميلة، جنه سوداء لم يسمع عنها من قبل.

- لماذا لا يمكنك الزواج في بيتك ؟.

لم يكن هذا أول شئ خطر بباله أن يقوله، ولكن كان هذا أول ما قاله لها.

- آه، نعم، مثالي جدا! ولكن أبي وأمي يعاندان! أهذا يكفي؟!.

- لماذا لا يمكنه أن يأتي ويأخذك ؟ إنه وغد أن يتركك تذهبين إلى الغابة وحدك بالليل.

قالت :

- تمهل حتى تعرف عمن نتكلم، لن يأتي ليأخذني، فهو يعرف أنني لا أخاف، إنه فخور جدا أنني أركب عربة جولز ترودون وآخذها خارج المنزل.

- ما إسمه وأين ستجديه ؟!.

- إنه في الجانب الآخر من الغابه، في بيت "وات جيبسون".

- ما إسمه ؟ !!.

- أندريه باسكال.

كان الاسم لا يعني شيئًا بالنسبه لتيليسفور. توقع أن يكون أندريه باسكال أحد مشاهير بلدة أفويليس، لكنه شك في ذلك وقال:

- من الأفضل أن تعودي.

دافع مثير قد دفعه لهذا الإقتراح.

أجابت :

- لقد اتخذت قراري !

- ما أمره ؟ ولماذا لا يريد والداكِ أن تتزوجينه ؟

- لماذا ... ؟ هى نفس النغمة عندما يسقُط رجلًا، يخرج الناس ويقذفونه كما يُقذف المُذنِب بالحجارة. يقولون أنه كسول. رجل يسير من "سانت لاندري" إلى "رابيدس" بحثًا عن عمل، يسمون ذلك كسلًا !! ثم ينشرون عنه إشاعات أنه يشرب الكحول، أنا لا أصدق ذلك ولم أرهُ يشرب أبدًا، على أية حال، لن يشرب بعد أن يتزوجني، إنني مهمة له لدرجة أنه يقول سيفجر رأسه إذا لما يتزوجني.

عاد فكرر :

- أعتقد أنه من الأفضل أن تعودي.

- لا .. لقد أتخذت قراري.

وذهبا داخل الغابة في صمت.

سألته بعد فترة :

- كم الساعة ؟.

أشعل الكبريت ونظر إلى ساعته.

- إنها الواحدة إلا ربع. (سألها) في أي موعد ستقابلينه ؟

- أخبرته أنني سأحضر ف الواحدة. كنت أعلم أنه وقتًا جيدًا للخروج من الحفل.

كانت تريد أن تُسرع قليلا ولكن لا يمكن حث المُهر الصغير للقيام بذلك. سحب نفسه وكأنه على ما يبدو جاهزًا في أي لحظة أن يتخلى عن أنفاس الحياة. لكن مرة واحدة خرجوا من الغابة واكتسبوا الوقت الضائع. تحولوا للحدائق المفتوحة مرة أخرى، كان تيليسفوريصدمهُ الهواء تمامًا، وكأن بعض العفاريت الطائرة مُلزمين بتغيير جلودهم معه.

مرت بضع دقائق بعد الساعة الواحدة عندما وصلوا أمام منزل "وات جيبسون". كان المنزل عشوائيًا، يبدو في ضوء النجوم الخافت معزولًا، كأنه يقف وحيدًا وسط الحدائق السوداء البعيدة المدى. وعندما توقفوا عند البوابه، بدأ كلب غير مربوط في النباح وكان هناك زنجي عجوز يدخن في تلك الساعة الروحانية.

قالت له زايدا :

- نريد أن نرى السيد جيبسون.

فتح العجوز البوابة وكان لا يوجد أي إنارة في المنزل.

قال :

- "مارسي جيبسون"، كان هناك مع السيد العجوز "بوديل" يلعب البوكر، ولكنه لا يكون موجود بعد الساعة الواحدة أبدًا. تعالِ سيدتي، تعالِ إلى الداخل. دخلوا ووقفوا بالشُرفة الضيقة بينما ذهب العجوز لإضاءة المصباح. على الرغم من أن المنزل صغير ويتألف من غرفة واحدة، إلا أن هذه الغرفة كانت كبيرة نسبيًا، وعندما دخلوه بدا لتيليسفور وزايدا أنه كبير جداً. كان المصباح على طاولة أمام الحائط وعليها زجاجة حبر صلبة وقلم وكتاب قديم. كان هناك سرير ضيق في الزاوية. يوجد مدخنة، معدات صيد الأسماك، بندقية، مخلفات وبعض الملابس المُهملة. الأرضية كانت من ألواح عريضة وخشنه متلاصقة مع بعضها البعض.

جلس تيليسفور وزايدا على الطرف الآخر من الطاولة وخرج الزنجي ليجمع كومة من الحطب ليقوم بعمل القهوة للاثنين وكان يعلم أن "وات جيبسون" عندما يصل سيطلب منه القهوة.

تمتمت زايدا بفارغ الصبر :

- أتعجب !، ما الذي يؤخره ؟

نظر تيليسفور في ساعته. التي كان ينظر إليها كل فترة قصيرة.

وقال :

- إنها الواحدة وعشرة دقائق. (ولم يقول أي تعليق آخر).

في الواحدة واثنتا عشرة دقيقة ضجرت زايدا مرة أخرى وقالت كلامًا بدا فيه الإنزعاج.

- لا أستطيع أن أتخيل ما الذي أخره ؟! قال أنه سيكون موجود في الواحدة.

كان الزنجي العجوز راكعًا أمام النار التي أشعلها، إلتفت بعينه نحو زايدا وهو يدعم النار وقال :

- تتحدثين عن السيد أندريه باسكال ؟ لا حاجة للبحث عنه. لقد كان يتشاجر طوال اليوم.

قالت زايدا :

- هذا كذب. (ثم نظرت إليه بإزدراء).

وتيليسفور لم يقل شيئًا.

رد عليها الزنجي:

- لا أكذب ياسيدتي.

لم يتكلم الزنجي بالكذب حتى الآن، فكلامه صريح جدًا وكان مهتما بأن يخبرها، وببساطة كان مخطئًا في تقديره لقدرة أندريه باسكال على المشاجرة خلال فترة مابين الظهيرة والمساء بالكامل، ثم يلتقي بعد ذلك بفتاة في الساعه الواحدة صباحا !.

أندريه وصل، عواء الكلب صاخب ويهدده أثناء الدخول. سارع الزنجي إلى إدخاله، لم يدخل أندريه ف الحال، بقي في الخارج ونادى للزنجي بأن يأتي ويطلق النار على الكلب ليسكته، رغم أنه كان لديه أمور أكثر أهميه تنتظره في الداخل. نهضت زايدا، كانت متحمسه عندما دخل وبقي تيليسفور جالسًا. كان أندريه باسكال رزين جزئيًا ومن الواضح أنه كان هناك سعي لإرتداء الملابس لهذه المناسبة في وقت مبكر من اليوم السابق. ولكن هذه الشواهد قد اختفت بالكامل تقريبًا. بدا ملطخًا وحاول أن يمحي آثار الإتساخ. كان أطول قليلا من تيليسفور،

كانت النساء تدعوه بالرجل الوسيم. فكان من السهل تخيل أنه عندما يكون رزينًا قد يخدع أي شخص من خلال بعض الكلمات الجميلة أو الأسلوب الرقيق.

جلست على الطاولة وحدقت فيه بنظرات جادة ومثيرة :

- لماذا جعلتني أنتظر، أندريه ؟

- أبقيتك منتظرة، زايدا ؟! يا عزيزتي الصغيرة، كيف يمكنك أن تقولي هذا !

لقد بدأت في القدوم قبل ساعة -أين العجوز الملعون جيبسون؟

كان قد اقترب من زايدا وعنده نية واضحة في أن يحتضنها، لكنها أزاحت يداه وابعدته على مسافة ذراع، تلفتَ بعينه كي يجد جيبسون العجوز، وسرعان ما وقعت عينه على تيليسفور. بدت النظرة الأولى إلى تيليسفور مملوءة بالدهشة. رجع أندريه إلى الوراء، بدأ يفكر في الشاب ويُجهِد نفسه في التكهنات والتخمين، ثم التفت إلى زايدا ليعرف من هذا الشخص.

- تحدثي يا زايدا، بماذا تنادي هذا ؟ أي أحمق لعين هو ؟ من سمح له بالدخول؟ ألم تعتقدي مثلا أنه يريد أن تحدث كارثة؟.

تيليسفور لم يقل شيئًا، وكان في إنتظار رد من زايدا.

صاحت في وجهه وقالت :

- أنت تخطئ في كلامك، عليك ان تأتي وتقف طوال اليوم، أو تركع على ركبتيك أمامي وينفجر عقلك إذا فكرت في أنني لن أتزوجك.

رد عليها وقال :

- إذهبي إلى الجحيم.

كانت ردوده ليست مجرد كلمات عادية عندما ضربه تيليسفور وأسقطه أرضًا على ظهره، الضربة بدت قوية. عاد لإتزانه ووقف على قدميه ثم أخرج مسدسه، لم تكن قبضته ثابته بعد، فسقط سلاحه على الأرض، إلتقطته زايدا ووضعته على الطاولة خلفها، إنها تريد أن ترى صِدام عادل.

الغريزة الوحشية هى التي تدفع الرجال أن يمسكوا بخناق بعضهم، رأى كل واحد منهم أن يمحو الآخر من طريقه - من الوجود إذا لزم الأمر- ثم وجهوا الضربات الغاشمة لبعضهم وكانت كالغضب

الأعمى، لم يكونوا مَهرة في ضرباتهم. كانت الغلاية تتبخر، ثم ذهب الزنجي ليبحث عن سيده جيبسون.

وضعت زايدا المصباح على الطاولة بعيدًا حتى لا يتضرر من الإشتباك. لم تصرخ أو تشير بإصبعها كي تبقي المعركة الدائرة أمامها. كانت ثابتة، فقط بدت عيناها على قيد الحياة، ملتهبة ولامعة. شعرت في لحظة ما أن أندريه قد نال من تيليسفور وخنقه، لكنها لم تقل شيئًا، وفي اللحظة التالية خمنت أن الضربة المضاعفة التي وجهها تيليسفور لأندريه قد تكون أقل من أن تقتله. لكنها لم تفعل شيئًا.

كيف ترنحت الألواح الرخوة وتصدعت تحت أقدام الرجال المتصارعين ! العوارض الخشبية القديمة جدا بدت كأنها تئأوه، مع شعور أن المنزل يهتز.

المعركة وإن كانت شرسة، فقد كانت قصيرة وإنتهى بها المطاف في الشرفة الخارجية ،حيث سحب بعضهم البعض بإتجاه الباب المفتوح -كان أحدهم قد سحب الآخر- لم تستطيع معرفته ولكنها عرفت متى إنتهوا. فقد كانت هناك لحظة طويلة من السكون

التام، ثم سمعت أحد الرجال ينزل من على السلالم ويذهب بعيدًا، مع صوت لإغلاق البوابه بعنف. والآخر ذهب إلى الحوض محاولًا إزالة آثار العِراك. وفي الحال، دخل تيليسفور الغرفة. كانت ملابسه الأنيقة مشوهة إلى حد ما، ضيوف "أكاديا" في الحفل بالكاد سيستبعدون ظهوره الآن.

سألته زايدا :

- أين أندريه ؟

- لقد ذهب.

زايدا لم تغير مكانها أبدًا، والآن لم تعد باهتة. عاد الدم إلى خديها وشفتيها ،وكأنهما تحولا إلى اللون القرمزي ،مدت يدها إلى تيليسفور فأمسكها بإمتنان كبير، ولكنه لم يعرف ماذا يفعل بها، كان لا يعلم الشئ الجرئ الذي يمكن أن يقوم به، لذلك تركها بلطف وذهب أمام النار.

- أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب.

قالت هذا، وتيليسفور صب بعض الماء المغلي على القهوة.

قال :

- سأقوم بصنع قليل من القهوة أولًا ومن الأفضل أن ننتظر حتى يصل الرجل العجوز جيبسون، ليس من الجيد أن يترك بيته بهذه الطريقة دون تفسير أو عُذر.

لم تقدم أي رد ولكنها جلست بخفة جانب الطاولة. يبدو أن إرادتها التي كانت مفرطة وعنيفة قد خفَت في ظل الموجة المضطربة في الساعات الماضية، ذهب الوهم الذي كانت فيه ودفعت حُبها معه. وأدركت أن عدم وجود اللهفه قد كشف لها هذا، لكنها لم تفهم أو تعرف أن الحب كان جزءًا من الوهم، فقد كان جسدها وروحها متعبين. شعرت بالطمأنينة وجلست في إسترخاء وهى تشاهد تيليسفور وهو يصنع القهوة. صنع قهوة كافية لهما وللسيد جيبسون عندما يصل، وأيضا من أجل الزنجي. كان من المفترض أن تكون الأكواب والملاعق في مكان آمن في الزاوية، وهو المكان الذي وجدهم فيه.

قال أخيرًا لزايدا :

- تعالِ ،سوف آخذك إلى المنزل الآن.

ثم لف وشاحها على رقبتها وكانت مثل الطفل الصغير، وتتبعت إرشاداته بكل ثقة. قاد العربة في طريق العودة، وترك المُهر يسير هادئًا. كانت الفتاة لا تزال صامتة وهادئة. تفكر بحنين - مع القليل من الدموع على ما كانت تتمناه.

كيف تسللوا داخل الغابة! وكيف كان الظلام! وكيف لا يزال؟!

همست زايدا لتيليسفور :

- كم الساعه ؟

وأسفاه ! لم يستطيع إخبارها بالوقت فساعته مكسورة من آثار العِراك. لكن تقريبًا للمرة الأولى في حياته، تيليسفور لم يهتم بالوقت.

رسائلها

١

أعطت الأوامر بأنها ترغب في البقاء هادئة دون إزعاج، وعلاوة على ذلك أغلقت أبواب جميع الغُرف.

المنزل هادئ جدا. المطر يتساقط بإنتظام من السماء الشاحبة، والتي لم يكن فيها برق ولا رعد. أشعلت النار في الكثير من الخشب في المدفأة وبذلك أنارت الشقة الواسعة حتى أبعد ركن فيها. ومن زاوية صغيرة بمكتبها نظرت المرأة لحزمة كبيرة من الرسائل مربوطة بإحكام بخيوط قوية، أخذتها ووضعتها على الطاولة في وسط الغرفة.

لمدة أسابيع كانت تدرس ما يجب عليها فعله. كان هناك تأني قوي وتخطيط واضح، وجهها حساس رقيق، ويديها طويلة ناعمة ومائلة للزُرقة.

بواسطة المقص قطعت حبل وغلاف الرسائل معًا. وبذلك تحررت الحزمة التي كانت أكثر إنزلاقًا من على سطح الطاولة.

وبحركة سريعة بواسطة أصابعها قامت بتوزيع الرسائل حتى غطت سطح الطاولة الواسعة تمامًا.

لقد أعاد حبيبها جميع الرسائل في يوم من الأيام عندما كانت مريضة وخائفة من الإحتمالات، طلبت منه إعادتها وكانت تقصد بعدها إبادتهم جميعًا، سواء كانت رسائله أو رسائلها. كان ذلك منذ أربع سنوات وكانت تنوي على هذا منذ ذلك الحين، ثم ظلوا بحوزتها كما أرادت حتى حافظت على نفسها من الهلاك تمامًا. لكن الآن، جاءت الأيام التي لم يعد فيها شعورًا بالخطر ولم تكن تهتم به. لقد عرفت أنها قبل عدة أشهر مضت كان عليها أن تتقاسم ثروتها وتترك الأمر بلا قيود. فقد إبتعدت عن إظهار الألم، الألم الذي سيأتي مما ستكشفه تلك الرسائل للآخرين إلى شخص واحد قبل الجميع. لقد كان قريبًا منها وأعطاها حنانًا وسنوات من الإخلاص بسلوك أحبته.

إختارت بهدوء رسالة عشوائية وألقتها في النار المشتعلة، أتبعتها رسالة ثانية بهدوء تقريبًا، ومع الثالثة بدأت يدها ترتعش.

وإذ بها في حالة إندفاع مفاجئ تلقي بالرابعة، الخامسة والسادسة في النار في نفس واحد. ثم توقفت وبدأت في التنفس، فقد كانت بعيدة عن أن تكون قوية. ثم أخذت تحدق في النار بنظرات وحشة مؤلمة.

ياه. ما الذي فعلَتهُ ؟ وما الذي لم تفعله؟. مع تخوف وإنفعال أنها بدأت في البحث بين الرسائل. أي منهم كانت بلا رحمة وقسوة ؟ مساعدة السماء ليست الأولى، ولكنها الأولى التى كُتِبَت قبل أن يتعلموا أو يتجرأوا على أن يقولوا لبعضهم البعض "أنا أحبك"، لا لا كان هناك أمان بما فيه الكفاية. ضحكت بسرور، وضغطت على الرسالة بشفتيها. ولكن ماذا لو كان ذلك هو أغلى شخص فقدته.

الرسالة التي أثارت المشاعر التي لم يسبق لها مثيل منذ فترة طويلة وحتى اليوم، كما فعلت مئات المرات من قبل عندما فكرت في

ذلك. قامت بضغطها بكفيها عندما وجدتها، قبلَتها مرارًا وتكرارًا. ومع أسنانها البيضاء الحادة مزقت الزاوية البعيدة من الرسالة، حيث كان الإسم مكتوبًا.

ياله من إمتنان غير محدود شعرت به لعدم حرقهم جميعا ! كيف تكون الأيام الخاوية والكئيبة من غير وجودهم. مع أفكارها فقط، أفكار خادعه لم تستطع تحملها في يديها وتضغطها مثلما فعلت ذلك بخديها وقلبها.

هذا الرجل قد غير الماء الذي في عروقه إلى الخمر الذي كان شُربه يجلب لهما الهذيان. لقد كان كل شئ واحدًا واصبح الآن ماضيًا بإستثناء تلك الرسائل التي حملتها بين ذراعيها، اصبحت تتنفس بهدوء وارتياح، بخدها المحموم الذي يستريح على تلك الرسائل، (كانت تفكر) التفكير في طريقة للإحتفاظ بها دون أي ضرر ممكن في النهاية لذلك الشخص الآخر الذي سيُطعن بقسوة أكثر بسكين حاد.

في النهاية وجدت الطريقة، طريقة مرعبة ومُذهلة أن تفكر فيها من البداية، لكنها وصلت لها عن طريق الإقتناع الغير مُقترن بشك. بالطبع كانت تقصد تدميرهم بنفسها قبل أن تأتي النهاية. ولكن كيف تأتي النهاية ومتى ؟ من قد يقول ؟.

كانت حريصة ألا يكون هناك إمكانية أن تقع حادثة بسبب ترك مسؤوليتهم، فالشخص الموجود بها قبل كل شئ، ينبغي أن يعرف ويطلع على محتوياتها.

أفاقت نفسها من سُبات الفكر وجمعت الرسائل المتناثرة مرة أخرى ثم ربطتهم بخيوط قوية. أصبحت ملفوفة في حزمة مضغوطة ومُغلفة بورق أبيض سميك. ثم كتبت على ظهرها بحروف كبيرة وعريضة :

"أترك هذه الحزمة لعُهدة زوجي. بإيمان كامل في ولائه وحبه، أطلب منه أن يحرقها قبل فتحها".

٢

لو أنه جاء بحزمة الرسائل في أول دفعة من حُزنه الشديد، لما كان هناك أي تردد فور ذلك، إن إحراقها على الفور بدون أي تساؤل قد يبدو مُعبرًا عن التفاني - كوسيلة للوصول إليها من خلال البكاء على حبه لها، بينما كانت حياته مليئة بوهم أنها موجودة. لقد مرت أشهر منذ الربيع عندما وجدوها ممدودة على الأرض، ممسكة بمفاتيح مكتبها، وبدا أنها حاولت الوصول إليه عندما تمكن منها الموت.

كان ذلك اليوم يشبه إلى حد كبير نفس اليوم قبل عام عندما كانت الأوراق تتساقط والمطر يتدفق بإنتظام من السماء الشاحبة، والتي لم يكن فيها برق ولا رعد. لقد حصل بالصدفة على حزمة الرسائل في ذلك الركن البعيد من مكتبها، وكما فعلت قبل عام، قام أيضًا بوضعها على الطاولة. كان واقفًا يحدق بعينين حائرتين في الرسالة التى واجهته مباشرةً :

"أترك هذه الحزمة لعُهدة زوجي. بإيمان كامل في ولائه وحبه، أطلب منه أن يحرقها قبل فتحها".

لم ترتكب أي خطأ، كل خط من وجهه - لم يعد صغيرًا-، كانت نظراته مخلصة وتبعث الحب. كان رجلًا طويلًا وقويًا يقف أمام النار بأكتافٍ مائلة قليلًا، وشعر إلى حد ما ناعمًا ورماديًا، ووجه مميز يبدو وسيما عند الإبتسامة. كان بطيئا، قرأ مرة ثانية "إحرقها دون فتحها". قرأ نصفها وتوقف، ثم قال بصوت مرتفع "ولكن لماذا لم أفتحها؟".

أخذ الحزمة مرة أخرى في يده واستدار بها، إكتشف أنها تحتوي على العديد من الرسائل المربوطة بإحكام. لذلك كان هناك رسائل طلبت منه أن يحرقها دون فتحها، لم يبدو في حياتها انها تكتم عنه سر. كان يعرف بأنها باردة المشاعر ولكنها طبيعية وعملت على راحته وسعادته.

أليس من الممكن أن يقع بين يديه سر عن شخص آخر، ربما قاله لها ووعدته بالحفاظ عليه ؟ ولكن، لا- كان يمكنها أن تشير إلى هذا من خلال بعض الكلمات التوضيحية على غلاف الحزمة.

كان ذلك سرًا خاص بها وموجود في تلك الرسائل، ثم أرادت أن يموت معها.

إذا كان بإمكانه التفكير بها كما لو كان على شاطئ ظليل بعيدًا، ينتظر على مر السنين بأيادي ممدودة ليأتي ويكون معها مرة أخرى، ما كان ليتردد في ذلك. كان مفعومًا بالأمل والثقة وكان يقول :

- في ذلك الوقت السعيد، روحي لروحها، سوف تخبرني كل شئ، وحتى يحين ذلك يمكنني الانتظار بثقة.

لم يستطيع الإعتقاد بأي جنة بعيدة تنتظره فيها. شعر أنه لا يوجد أي مكان أصغر منها في الكون، أكثر مما كانت عليه قبل ولادتها في العالم. لقد أثبتت نفسها بطريقة شديدة وبرغبة غير ملموسة عندما توقفت الحياة في عروقها، مع علمه بأنه سوف يصل إلي ذلك عندما يأخذه الموت، لكنه نطق بكل ثقة بحالة أظهرت قوته وشجاعته، لقد تحرك بجرأة رائعه وتأثير عظيم رفعه في ذلك الوقت فوق البشر جميعا.

ما السر الذي إختارته المرأة ليموت معها ؟ بسرعه جاءه إقتراح في عقله وإمتلكه الفضول بشدة. جلس على كرسي بجانب الطاولة والحزمة في يده.

إن الشكوك المؤلمة ربما كانت هناك يد أخرى قد تقاسمت مع أفكارها، عواطفها، وحياتها، جردته في لحظة سريعة من الشرف والعقل.

"بإيمان كامل في ولائك ومحبتك" لم تكن الكلمات المكتوبة تتوجه إلى العين ولكنها مثل صوت يتحدث مع روحه. ومع رجفة مؤلمة مال برأسه مقتربا من حزمة الرسائل.

لقد رأى من قبل عرافًا يمسك برسالة ويضعها على الجبهة، ثم يزعم أنه يعرف محتوياتها. تساءل عن ذلك الرجل لأن الفضول سيقتله كي يعرف ما بداخل الرسائل دون فتحها، لقد كان على وعي بالورقة البيضاء الناعمة التي تُغلف الحزمة، يشعر ببرد كأنه يلمس يد إمرأه ميتة.

مرت نصف ساعة قبل أن يرفع رأسه، كان في صراع نفسي لا يوصف، ولكن حبه وولاءه جعلوه يتحمل. كان وجهه شاحبًا، يبدو عليه المعاناة. لم يفكر لحظة في إلقاء الحزمة في النار المشتعلة لتحترق أو تكون أمام عينه نصف محترقة. ولم يكن هذا ما قصدته المرأة، وقف وأخذ قطعة برونزية ثقيلة من على الطاولة وربطها بأمان على الحزمة. سار الى النافذة ونظر إلى الشارع بالأسفل. كان الظلام قد حل، ولا زالت السماء تمطر.

كان يسمع المطر يرتطم بألوح زجاج النوافذ ويراه في منطقة الضوء الباهتة ذات اللون الأصفر المضاءة بواسطة مصباح الشارع. لقد أعد نفسه للخروج، عندما يكون مستعدًا لمغادرة المنزل تمامًا، عليه أن يضع الحزمة في جيب عميق من معطفه.

لم يتعجل في مرور الشارع لأن معظم الناس يهرولون في ساعة المطر، سار بخطوة طويلة وبطيئة متعمدة ولم يكن في ذهنه البرد القارس والمطر الذي ينزل على وجهه بالرغم من مظلته التي يمسكها.

لم يكن مسكنه بعيدًا عن المدينة، ولم يكن الوقت ممتعًا قبل أن يجد نفسه عند مدخل الجسر الممتد على طول النهر - ذلك النهر العميق، العريض، السريع، النهر الأسود الذي يفصل بين ولايتين، ظل يمشي وكانت الرياح تهب بقوة وشراسة.

كان الظلام سائدا وبدت آلاف الأضواء في المدينة التي غادرها مثل نجوم السماء متجمعة، غارقة في الأفق الغامض، تاركةً له الوحدة في عالم أسود غير محدود. أخذ الحزمة من جيبه واستدار بقدر إستطاعته على السكك الحديدية الواسعة بجانب الجسر ليلقي بها في النهر، سقطت بسرعة من يده. لم يتمكن من متابعتها خلال الظلام الحالك، لم يسمع إرتطامها بالماء. إختفت بصمت وعلى ما يبدو سيمسح الحبر وتكون الرسائل غير مفهومة حتى يذوب الورق، شعر كأنه يعطيها لزوجته في عالم مجهول أيًا كان مكانها.

٣

وبعد ساعة أو ساعتين، جلس على طاولته بصحبة عدد من الرفاق الذين دعاهم لتناول الطعام معه في ذلك اليوم، إستقر وارتفعت معنوياته، إقتنع بأنه لا يمكن أن يكون هناك غير سر واحد إختارته المرأه لكي يموت معها، كان ذلك الفكر يمتلكه ويحتل عقله، يحاول الحفاظ على انتباهه وذكائه، يمسك قلبه مما يجعل كل نفَس يتنفسه في الحياة يبقى دون لحظة ألم.

الرجال من حوله لم يعودوا أصدقاء الأمس، أدرك بوجود عدو مُحتمل في كل واحد منهم، كان منتبها إلى حديثهم، وظل يتذكر كيف أقتربت بنفسها الى هذا الشخص أو غيره سعياً في تذكر الأحاديث أو مايخفى من تعبيرات الوجه التي ربما كانت تعني الشئ الذي لا يشك فيه في الوقت الحالي، وكل معاني الكلمات بدت عادية التبادل كالمحادثات الإجتماعية.

قام بتغيير الكلام الدائر إلى الحديث عن النساء، وتحقق من آراء وخبرات هؤلاء الرجال. لم يكن هناك واحدًا يدعي القوة الناجحة لإثارة عواطف أي إمرأة لنزواته، سمع عن التفاخر بالنزوات من قبل هذه المجموعة وكان دائما يقابلها بإحتقار شديد. ولكن هذه الليلة صار الكلام فاضحًا وفارغًا بمعانٍ جديدة صريحة، يكشف عن إحتمالات لم يؤخذ بها في الإعتبار حتى الآن. كان سعيدًا عندما رحلوا. حرص على أن يكون وحيدًا، ولم يكن لديه أي رغبة أو نية في النوم. يريد أن يستعيد غرفتها بفارغ الصبر، تلك الغرفة التي عاشت فيها وقتًا كبيرًا من حياتها، وحيث وجد تلك الرسائل. فمن المؤكد وجود المزيد منها في مكان ما أو في بعض الاشياء المتهالكة والمنسية أو بعض الأفكار المكتوبة أو التعبيرات الموجودة على أي قصاصات.

في الساعة التي إعتاد فيها الراحة بالليل، جلس أمام مكتب زوجته واخذ يبحث في الأدراج، الشرائح، البلاط، الزوايا، والأركان. لم يترك أي شئ دون بحث أو قراءة. العديد من الخطابات التي وجدها قديمة : بعضها قد قرأها من قبل.

أما الاخرى كانت رسائل جديدة لكنه لم يجد أي دليل ولو ضعيف على أن زوجته لم تكن المرأة الجيدة والمخلصة، لقد آمن بها دائما. قضى الليل في البحث الغير مُجدي، أمتلكه النوم قبل ساعة من صعوده وهو مُحمل بالأحلام الحزينة، يسمع صوت مياه النهر الجارية ويرى الظلام السائد بداخله، حاملًا قلبه، طموحاته وحياته.

لكنه لم يكن الوحيد في رسائل قد خانت فيها النساء عواطفهن، كان يعرفهن جيدًا، عندما يقعن في الحب يتركن بصمة قوية في فقرات عاطفية بكتابة الشعر والنثر، ويعبرن عن أفكارهن المخفية بواسطتها. ربما زوجته لم تفعل هذا ؟ ثم قام مرة أخرى بالبحث أكثر من المرة السابقة، يُقلب صفحة تلي الأخرى. الكتب تملأ المكان- فمنها كتب الخيال، الشعر والفلسفة. لقد قرأتهم زوجته جميعا، ولكن في أي مكان أو أي علامة يمكن أن يجد كتاباً يوضح سر وجودها، السر الذي كان يمسكه بيديه ثم ألقى به في النهر.

بدأ بالتدريج التساؤل حول هذا الشخص وذاك، يسعى جاهدًا لدراسة كل شخص بطرق غير مباشرة ويتسائل- ما كان يفكر فيه كل منهم ؟، قبل كل شئ علم بأنها لم تكن متعاطفة مع أحد بسبب برود وجهها، قد يكون أحدهم معجب بعقلها، وغيره بإنجازاتها، وآخر بإعتقاد أنها كانت جميلة قبل أن يُرديها المرض، شعر بالأسى لأن جمالها كان يفتقد دفء اللون والتعبير. لقد أُمتدحت من قبل البعض للطفها ورفقها، والبعض الآخر مدحها من أجل الذكاء واللباقة.

ياه، لا جدوى من محاولة إكتشاف أي شئ من الرجال ! ربما عرف أن المرأه تتحدث عما تعرف. لقد تكلم الرجال دون تحفظ وكان معظمهم يحبها.

٤

وبعد ذلك، "ليس هناك سوى سر واحد أختارته لكي يموت معها" أستمر هذا التفكير يطارده ويحرمه من الراحة. بدأت الأيام والليالي بدون يقين، بطيئة تحجمه وتعذبه، من المؤكد أن هذا الخطأ المُفزع قد أراد منه السلام، ولو كان على حساب سعادته. لم يبدُ له بأي لحظه يأتي الأصدقاء ويذهبون أو أن العالم يسقط أو يرتفع، الزواج والموت. لم يكن مفيد إن أتاه مال من خلال فرصة أو يستعصي عليه، بدا فارغًا وغير مهتم حتى بالأشياء التي يقدمها العالم للتسلية. كان الطعام والشراب قد فقدا طعمهما. لم يعد يعرف أو يهتم إذا كانت الشمس تضئ أو الغيوم تحجب أشعتها. فهناك شئ قاسٍ ضربه هناك حيث كان ضعيفًا، محطم بكيانه كله، فارقه ولكن لديه رغبة واحدة بروحه، رغبة واحدة تزعجه لمعرفة ما بداخل الشئ الغامض الذي كان في يديه وألقاه في النهر.

في إحدى الليالي عندما كانت النجوم غير ساطعة، تجول دون أن يهدأ في الشوارع، لم يعد يسعى لأي معرفة من الرجال والنساء ما لم يقوموا بذلك، أو أنهم لا يستطيعون إخباره بأي شئ. فقط النهر يعرف. ذهب ووقف مرة أخرى على الجسر حيث كان يقف عليه ساعات طويلة منذ تلك الليلة عندما حاصره الظلام.

فقط النهر يعرف وتكلم معه، فبعد أن استمع إليه الرجل ، لم يوضح له أي شئ، لكنه وعده أن يخبره، إستمع لوعده بنبرة سليمة، مليئة بالسلام والراحة. كان يسمع صوت الإجتياح، وأغنية الماء التي تدعوه.

وفي لحظة، ذهب ليقصد زوجته، يرافقها مع سرها، في راحة ليس لها حدود !.

القُبلة

كان الضوء ساكنًا تمامًا خارج المنزل، ولكن بالداخل حيث الستائر المُسدلة، كانت نار المدفأه تبعث وهجًا غامضًا.

في الغرفة الغارقة تمامًا في الظلال العميقة. جلس برانتين في جانب من هذه الظلال وقد تجاوزه دون أن يهتم. لقد أعطاه هذا الظل الشجاعة كي يُبقي نظرات عينيه ثابتة بإتجاه الفتاة الجالسه بجوار المدفأة.

كانت جميلة جدًا، ترتدي ثياباً أنيقة بألوان زاهية، كانت هادئة تمامًا وهى تداعب بيدها فراء القطة التي تحتضنها. نظرت ببطئ تجاه برانتين.

كانا يتكلمان بصوت منخفض حول أشياء لم تكن تهمهما. تعرف أنه يحبها، لقد كان واضحًا وجريئًا دون أن يكون لديه القدرة على إخفاء مشاعره، أو أنه يعترف بحبه. لمدة اسبوعين سابقين كان يحاول الوصول إليها بفارغ الصبر واستمر في ذلك.

كانت تنتظر منه أن يعترف لها وسيكون عليها أن تَقبَله. في الواقع كان برانتين تافهًا وغير جذاب، لكنه غنيًا جدًا. أحبت ثروته، وأرادت أن تكون محاطة بخدمٍ من حولها ولن يأتوا إلا بالثراء.

خلال لحظة من لحظات التوقف بين حديثهم وتناول الشاي الأخير، فُتح الباب ودخل شاب يعرفه برانتين جيدا. أدارت الفتاة وجهها نحوه، تقدم خطوة أو خطوتين إلى جانبها، إنحنى على كرسيها - قبل أن تشك في نيته أو أنه لم يرَ زائرها الذي يجلس – ثم طبع قبلة طويلة على شفتيها.

قام برانتين ببطئ ونهضت معه الفتاه - فأصبح الشاب بينهما - ثم بدا القليل من الصراع وبعض الإرتباك على وجهه.

قال برانتين متلعثمًا :

- أعتقد ... أرى أنني جلست لفترة طويلة، أنا .. أنا .. لم يكن لدي فكرة .. لذلك، يجب أن أرحل.

كان يمسك قبعته بيديه، غير مدرك أن الفتاة تمد يدها له، لم يكن عقلها الحاضر قد تركها تمامًا. لكنها غير واثقة من كلامها إذا تحدثت.

قال الشاب :

- إشنقيني لو كنت رأيته، لم أره يا ناتي ! أعرف أنه موقف محرج لكِ، ولكن سامحيني هذه أول مرة أفعل ذلك، ما الأمر؟!

ردت غاضبة :

- لا تلمسني، لا تقترب مني. ماذا تعني بدخولك المنزل دون تنبيه ؟.

أجاب ببرود وثقة :

- جئت مع أخيكِ كما أفعل غالبًا، لقد دخلنا من الجانب الخلفي، هو ذهبَ للطابق العلوي وأتيت إلى هنا كي أجدك. إنه مُبرر بسيط للغاية، فسوء الحظ لا مفر منه.. هل ستقولي بأنك سامحتيني يا ناتاليا؟.

توسل إليها بلطافة.

- أُسامحك! أنت لا تعرف عما تتحدث. دعني أمُر. هذا يعتمد على اتفاق جيد إذا كنت سأسامحك أم لا.

في المقابلة التالية التي قد اتفق عليها برانتين وناتاليا، قامت بلفت إنتباه الشاب عندما رأته.

قالت مع ابتسامة جذابة يملؤها القلق :

- هل ستسمح لي بالتحدث إليك للحظة أو اثنتين، سيد برانتين.

بدا غير سعيد للغاية، ولكن عندما أخذت ذراعه ومشت بعيدًا بحثًا عن ركن منعزل. ظهر بصيص من الأمل ممزوج مع كوميديا بائسة على ملامحه.

كانت صريحة وجادة.

- ربما لم يكن ينبغي لي أن أطلب هذه المقابلة، سيد برانتين، ولكن - ولكن، ياا، كنت منزعجة وحزينة قليلًا منذ اللقاء البسيط ظهر اليوم الماضي عندما فكرت في أنك سوف تسئ الظن أو تعتقد شيئًا. - بدا وكأن الأمل انتصر على البؤس الذي

اعتلى وجه برانتين - أعرف أن هذا لا يعني لك شيئًا ولكن أردت أن تفهم شيئًا، السيد "هارفي" صديق حميم منذ فترة طويلة، نعتبره فرد من العائلة، علاقتي به كعلاقة الأخ والأخت. فهو الصديق المقرب لأخي ومُرافق له دائما. يتخيل أن له الحق في المطالبة بنفس حقوق أفراد العائلة. ياه أعرف أنه أمر سخيف بدون تبرير لك وغير مُشرِف (كانت على وشك البكاء) ولكن هذا سيكون فارقًا لي فيما أعتقدته عني!.

كان صوتها منخفض ومؤثرًا، ثم اختفى البؤس من وجه برانتين تمامًا.

- هل تهتمين بما أفكر فيه، آنسه ناتاليا ؟ هل يمكن أن ادعوك ناتاليا ؟.

اتجهوا الى ممر طويل تصطف على جانبيه نباتات طويلة وجميلة. مشيا ببطئ حتى نهايته، وعندما استدارا للعودة. كان وجه برانتين مُشعًا وبدا عليه الإنتصار.

وفي حفل زفاف برانتين وناتاليا، كان "هارفي" من بين الضيوف، في لحظة سريعة وجد ناتاليا واقفة وحدها، ذهب إليها وقال مبتسمًا :

- زوجك، أرسلني لأُقبلك.

بدا الخجل على وجهها سريعا وأدارت عُنقها.

- أظن أنه من الطبيعي أن يشعر الرجل ويتصرف بسخاء في مناسبة كهذه. قال لي لا أريد أن يكون الزواج سببًا في قطع العلاقة الحميمة بيني وبينك -بإبتسامة وقحة- لا أعرف ماذا ستخبريه عن علاقتنا، ولكنه أرسلني إلى هنا كي أُقبلك.

شعرت وكأنها لاعب شطرنج، فالذكي يتعامل مع القطع فيما يراه صحيحًا. كانت عيناها لامعة مع ابتسامة حنونة، ثم نظرت إليه وشفتاها تبدو تواقة للقُبلة التي دعتهُما !.

ذهب بهدوء وهو يقول :

- ولكن كما تعلمين لن أخبره بذلك، سيكون شيئًا بغيضًا. ويمكنني أن أقول لكِ، لقد توقفت عن تقبيل النساء، إنه أمر خطير !.

حسنا، إمتلكت ناتاليا - برانتين وثروته المليون. فلا يمكن لأي شخص أن يحصل على كل شئ في هذا العالم، وغير منطقي لها أن تتوقع هذا.

حدث
في ساعة

من المعروف أن "السيدة ميلارد" مريضة بإحدى أمراض القلب، ولذلك كان هناك إهتمام ومجهود كبير كي يُنقل لها خبر وفاة زوجها "برينتلي ميلارد"، أبلغتها أختها "جوزفين" بعد كتمان بجملٍ متقطعة وغير مفهومة هذا الخبر، وفي ذلك الوقت كان "ريتشارد" صديق زوجها موجود معها أيضًا، وقبل مجيئه كان موجودًا في مكتب الجريدة التي تداولت حادث السكة الحديد الكارثي وكان إسم الزوج على رأس قوائم الضحايا، وللتأكيد قام بإرسال رسالة أخرى وجاءه الرد أن برينتلي ضمن الضحايا، ولكن ريتشارد كان رقيقًا، لم يتحمل أن يكون ناقل هذا الخبر المؤلم لزوجة صديقه.

لم تستقبل السيدة ميلارد هذا الخبر كباقي النساء اللائي فقدن أبنائهن وأزواجهن ككارثة وصدمة يتوقف عندها الشعور أو عدم قبول ذلك في الواقع، بالعكس فقد بكت عندما سمعت الخبر بشعور الفُقدان والوحشة، إرتمت في أحضان أختها وهى تبكي.

عندما خفت عاصفة الحزن الشديد، ذهبت إلى غرفتها برغبة في ألا يتبعها أحد.

وقفت أمام النافذة المفتوحة في الغُرفة وجلست على كرسي واسع مقابل للنافذة، وعندها شعرت بألم شديد كاد أن يصل إلى روحها، نظرت لرؤوس الأشجار التي تهتز متراقصة وندية ببدايات الربيع.

في تلك اللحظات أنفاس المطر المنعشة تسكن الهواء، ترى بائع متجول ينادي على بضائعه وتسمع غناء أحد الأشخاص يمر على مسامعها بصوت منخفض، صوت مجموعة من العصافير تغرد من أعلى الأسطُح المحيطة، وعبر الجهة الغربية للنافذة حيث السحب المُتجمعة فوق بعضها ويظهر منها أجزاء زرقاء صافية من السماء، مالت برأسها على وسادة الكرسي الواسع بلا أي حركة، بعينين تملؤهما الدموع، تهزهما كطفلٍ يبكى بحرقة قبل النوم ثم نام ودموعه لم تتوقف.

كانت شابة بوجه هادئ وبشرة فاتحة، يظهر عليها رباطة الجأش والتحمل، أما الآن فتبدو باهتة، تتطلع عيناها للمناطق الزرقاء في السماء الظاهرة بين السحب، لم تكن حالة البهتان التي بدت عليها إنعكاسا لحالتها بقدر أنها إشارة لأفكار عميقة وأكثر ذكاءًا.

كأن هناك شئ قادم من أعلى نحوها وكانت تنتظره بخوف.

لم تكن تعرف ما هذا الشئ، وهمًا لشئ غير معلوم وليس له مُسمى، إلا أنها تشعر به. تصاعدت أنفاسها بإضطراب وبسرعة جعلت صدرها يرتفع وينخفض. بدا هذا الشئ معروف بالنسبة لها وسيطر على مشاعرها بشكل كامل، ثم حاولت أن يبتعد عنها، ولكن بلا فائدة.

لقد كانت أكثر عجزًا، فاقدةً للقوة من ساعديها البيضاويين في لحظة صد ومقاومة هذا الشئ الآتي من أعلى، وهمست بكلمة واحدة "حرة – حرة" كانت تكرر تلك الكلمة بدون صوت وتقولها بأنفاسها، ملامح الخوف ونظراتها الباهتة تركوا وجهها حتى أصبحت النظرات مُشرقة.

زادت ضربات قلبها وإنطلق الدم في جميع أجزاء جسمها حاملًا الهدوء والدفئ.

كانت مُندهشة من سر تلك المشاعر التي امتلكتها وجعلت جسدها منتظم، شعرت بسمو الروح، والإدراك جعلها تتخلى عن فكرة أنها مشاعر عابرة. علمت بأنها سوف تبكي مرة أخرى عندما تذكرت زوجها بيداه الطيبة الرقيقة وهى تلتف بالموت إلى الصمت الأبدي. هذا الوجه لم ينظر لها بحب الذات !

لقد رأته ميتًا وشاحبًا. تذكرت بعد هذه اللحظة سنينها القادمة والتي ستكون فيها وحيدة دون زوجها، ونوت على أن تستقبلها فاتحةً ذراعيها لها، لن يكون هناك شخص يوظف حياته لها، ستعيش من أجل نفسها فقط، لن تكون تلك الإرادة القوية التي تقسم ظهرها كنوع من المثابرة العمياء والتي يعتقد الآخرون أن هذا حق على أساسه تُفرض إرادتهم على بعضهم البعض بسبب الحب أو الزواج.

كانت مصممة بنوع من العزم الشديد وكأنها جريمة تبدو لها مثل لحظة شروق الشمس الظاهرة في ذلك الوقت.

وعلى الرغم من كل هذا، فقد أحبت زوجها كثيرا وكرهته أيضًا أحيانا كثيرة. لم تكن تهتم بذلك، فماذا عن الحب ؟، اللُغز الغامض أمام معرفتها ووثوقها بذاتها، فهمته فجأة وظلت تقول وتُكرر "جسد حر، روح حرة".

وأثناء هذا كانت شقيقتها "جوزفين" جالسة أمام الباب المقفول وتناجي أختها بفتحه وهى تقول :

- إفتحي هذا الباب يا لويز، أرجوكي إفتحيه، لاتؤذي نفسك، ما الذي تقومي بفعله ؟، بالله عليك إفتحيه.

ترد عليها السيدة ميلارد :

- إذهبي أنا لست مريضة ولا أؤذي نفسي.

بدت ميلارد وكأنها تشرب إكسير الحياة من النافذة المفتوحة، تذهب بخيالها في كل الأنحاء، بعشوائية تستكشف الأيام والسنين القادمة، الربيع والصيف، وكل الفصول والأيام التي ستكون فيها وحيدة.

صلّت لربها ودعته بطول العمر، فقد كانت بالأمس تشعر بالإرتعاد والخوف، كانت تفكر في حياة قد تكون طويلة.

وقفت وفتحت الباب لأختها الجالسة أمامه، خرجت وكأنها منتصرة، تمشي كإلهٍ للنصر، وضعت يدها بوسط أختها ونزلوا للأسفل حيث ينتظرهما ريتشارد.

وفجأة يُفتَح باب المنزل حيث ظهر زوجها برينتلي ميلارد الذي لم يموت، لقد كان قريبًا من مكان الحادث ولم يُصاب بسوء، ظهر مُمسكًا بيديه شنطة سفره وباليد الأخرى شمسيته، وقف مندهشًا أمامهم وأخذه ريتشارد ليُبعده عن انظار زوجته حتى لا تُصاب بصدمة، حيث صرخت "جوزفين" فجأة بسبب سقوط أختها عندما رأت زوجها الذي إعتقدت أنه مات، جاء الطبيب ليعلن وفاتها بسكتة قلبية بسبب الصدمة والفرح الشديد.

زوج من
الجوارب الحريرية

في يوم من الأيام وجدت السيدة سومرز الصغيرة نفسها مالكًا غير متوقع لمبلغ خمسة عشر دولارًا.

وبدا لها هذا مبلغ كبير جدا من المال، حيث كانت محفظتها البالية محشوة ومنتفخة، وهذا أعطاها أهمية كبيرة لأنها لم تتمتع بذلك منذ سنوات.

فكرت في مسألة استثمار المبلغ لمدة يوم أو أثنين فقط، كانت تسير وكأنها تحلم، لكنها فكرت في المضاربة والحساب. كان لديها رغبة في عدم التصرف على عجل، وألا تفعل شئ تندم عليه بعد ذلك.

وأثناء ساعات الليل فكرت ببعض الخطط في ذهنها وهى مستيقظة لدرجة تبدو وكأنها ترى طريقها بوضوح نحو التصرف السليم والحكيم في هذه الأموال.

كانت ترتب لإضافة دولار أو دولارين إلى السعر الذي تدفعه عادة لأحذية "جاني"، وبهذا تضمن أن الأحذية ستستمر لفترة أطول مما كانت عليه، قالت إنها ستشتري الكثير من يارادات الأقمشة لقمصان البنين ولبنتيها جاني وماج. نوت على أن تقوم بترقيع ماهر للثياب القديمة، فكرت في شراء ثوب جديد لماج حيث شاهدت بعض الموديلات الجميلة والتخفيضات في نوافذ المحلات، ولازالت تفكر في أن هناك مايكفي من جوارب قديمة -زوجان لكل منهم.

"وماذا سيتوفر لبعض الوقت !" قالت إنها سوف تشتري قبعات جديدة للأطفال والبالغين. بدت رؤيتها جديدة وأنيقة، رؤية جعلتها لا تهدأ واستمرت متيقظة مع الترقب. لقد كانت هذه أول مرة في حياتها تبدو متحمسة بهذا الشكل.

كان جيرانها يتحدثون أحيانا عن "أيام أفضل" لم تكن تعرفها سومرز قبل أن تصبح "السيدة سومرز".

لم تكن منغمسة في أي عرض من هذا القبيل، ولم يكن لديها وقت -ولا ثانية- تخصصها للتفكير في الماضي.

كان إنشغالها إحتياجات الحاضر كليًا ورؤى باهتة للمستقبل، فكانت تتخيله في بعض الأحيان وحش هزيل يروعها، ولكن لُحسن حظها لم يظهر بعد.

كانت سومرز تعرف المساومات جيداً، ويمكنها أن تقف لساعات وتتأنى حتى تصل إلى المطلوب وتشتريه بأقل تكلفة، ويمكنها أن تترك الشئ وترحل إذا لزم الأمر، تعلمت إذا أمسكت بقطعة أعجبتها تكون عازمة ومُصرة عليها حتى يأتي دورها في الشراء، بغض النظر عن الوقت الذي جاءت فيه.

ولكن هذا اليوم بدت مُتعبة. هل تناولت وجبة غداء خفيفة ؟

- لا !. عندما بدأت تفكر في ذلك، بين أنها تجعل الأطفال يتغذون وأن مكان تناول الطعام ضيق لا يسعها وأيضاً استعدادها للتسوق، فقد نسيت أن تأكل أي شئ على الإطلاق!

جلست على كرسي دوار لتستريح أمام عداد مهجور نسبيا في محاولة لجمع القوة والشجاعة للدخول وسط العديد من الناس المحيطين لشراء القمصان وآخرون يشترون الأعشاب والمربى.

كانت تستريح وذهنها معلق لا تدري ماذا ستفعل واضعةً يدها على المنضدة، لم تكن ترتدي قفازات. وبالإحساس، كانت تدرك أن يدها لامست شئ مهدئاَ وممتعًا للغاية، نظرت إلى يدها لترى أن تحتها مجموعة من الجوارب الحريرية، شاهدت في إحدى اللافتات القريبة أنه قد تم تخفيض سعرها من دولارين وخمسين سنتًا إلى دولار وثمانية وتسعين سنتًا، ثم سألتها فتاة صغيرة تبيع من وراء المنضدة لو أن السيدة سومرز ترغب في معاينة الجوارب الحريرية. إبتسمت السيدة تمامًا كما لو طُلب منها معاينة تاج من الألماس، لكنها إستمرت في الشعور بالأشياء الفاخرة الناعمة والرائعة - بيديها الاثنتين، وبرؤية لمعانهم والشعور بإنسيابهم من أصابعها كلمس الثعبان.

وفجأة تغير لون خديها ونظرت إلى الفتاة :

"هل هناك أي ثمانية ونصف بين هذه؟" سألت سومرز الفتاة.

في الواقع. كان هناك عدد من الثمانيات ونصف، كان هناك أكبر حجمًا من ذلك، وزوجًا أزرقاً فاتحًا وأيضا بعض من اللون الأورجواني، والأسود وانواع من الأسمر والرمادي.

إختارت السيدة سومرز زوجًا أسود، نظرت إليهما طويلًا وعن كثب، تظاهرت بأنها تقوم بمعاينة النسيج الذي قيل لها أنه ممتاز.

وقيل بصوت عالٍ "دولار واحد وثمانية وتسعين سنتاً".

"حسنًا، سآخذ هذا الزوج".

أعطت للفتاه ورقة نقدية بخمسة دولارات وانتظرت لأخذ باقي النقود. بدت النقود قليلة جدًا، ويبدو كأنها فقدت جزءا منها في أعماق حقيبة السوق القديمة المُتهالكة.

لم تذهب السيدة سومرز بإتجاه دفع الحساب، ولكنها أخذت المصعد للطابق العلوي لغرفة إنتظار السيدات وفي ركن التغيير،

غيرت جواربها القطنية لإرتداء الجوارب الحريرية التي أشترتها للتو، شعرت بذهن صافي ولم يشغل بالها أي شئ، أو حاولت أن تبرر ما تفعله، لم تفكر بأي شئ أبدًا، وكان لها أن تستريح من رحلة التسوق المُرهقة، وقد إستراحت دون حركة كأنها تخلي مسؤوليتها من وظيفتها.

كم من الجيد أن يلمس الحرير الناعم جسدها ! شعرت وكأنها تجلس على كرسي مُبطن بشئ من الفخامة، قامت بهذا لوقت قصير بعد أن إرتدت الجوارب الحريرية والحذاء، لفت الجوارب القطنية القديمة ووضعتهم في حقيبتها. بعد ذلك، توجهت إلى قسم الأحذية واخذت الشكل الملائم. كانت صعبة في إختياراتها ولا ترضى بسهولة، الموظف لم يستطع إرضائها أو كان بإمكانه التوفيق بين الحذاء والجوارب، لم تكن سعادتها سهلة. أزاحت تنورتها وحركت قدميها بطريقة ورأسها بطريقة أخري، فعلت هذا عندما نظرت إلى أسفل على أحذيتها المدببة. بدت قدميها وكاحلها أجمل، لم تدرك أن تلك الأشياء لها وجزء مما تملكه. لقد أرادت أن تكون ذو مظهر أنيق وممتاز.

أخبرت الشخص الذي ساعدها في جلب الحذاء أنها لا تمانع أن تدفع دولار أو أكثر طالما حصلت على ما تريده.

لقد مر وقت طويل على شراء السيدة سومرز قفازات جديدة، وفي مناسبات قليلة عندما أشترت زوجًا جديدًا. لقد كان كل شراؤها من الأوكازيون حيث التخفيضات الكبيرة.

الآن أراحت ذراعها على مسند أمام مكان الدفع، شعرت أن القفاز مخلوق لطيف، تحسه من الملمس، كأنه طفلًا نائمًا على يديها، لقد أضفى جمالا على يديها بشكل أنيق، فقدت نفسها لمدة ثانية أو ثانيتين في الإعجاب والتأمل في قفاز آخر. لكن، كان هناك أماكن أخرى سوف تنفق فيها المال.

كان هناك كتب ومجلات كثيرة في نافذة كشك على بُعد بضعة خطوات في الشارع، إشترت السيدة سومرز أثنين من المجلات الغالية الثمن حيث إعتادت على أن تستمتع بالقراءة في بعض الأيام، ثم أخذتهم بلا تردد.

كانت ترفع تنورتها في الشارع من غير إحراج عند عبورها الشارع حيث كانت جواربها وحذائها وقفازها مناسبين جدا لها، شعرت بالثقة وكأنها تنتمي إلى تلك الطبقة التي ترتدي ملابس جيدة وغالية الثمن.

كانت جائعة جداً، وعندما حانت لها فرصة أن تأكل شئ لحين رجوعها الى المنزل تناولت وجبة خفيفة وأخذت كوبًا من الشاي. ولكن لديها الآن رغبة في الطعام دون أن تمنع نفسها.

وصلت إلى مطعم في مكان جانبي من الشارع لم تدخله أبدًا من قبل، حيث لمحت من الخارج منظر كالحرير الناصع والبلور اللامع ونوادل بزي موحد يقومون بتقديم الطلبات للجالسين.

لم يكن دخولها مثيرًا لدهشتها، أو رهبةً لها، جلست وحدها على طاولة صغيرة ثم ذهب إليها النادِل في الحال ليبدأ في خدمتها، لم تكن تريد طعامًا كثيرا، كانت تريد أكلة شهية ولذيذة، قليل من السمين المفروم مع نبات الخردل، وشئ حلو - آيس كريم، مثلًا.

وطلبت كأس نبيذ من نوع الراين وبعد ذلك فنجان قهوة صغير. وأثناء إنتظار طلبها أزالت قفازايها على مهلٍ ووضعتهما جانبًا، ثم أخذت مجلة لتقرأها. كان كل شئ جيد ومقبول. كان الحرير أكثر نصاعة مما بدا عليه من خارج النافذة. والبلور كان أكثر تألقًا ولمعانًا. هناك رجال ونساء جالسون بهدوء ولم يلاحظوها، جلسوا ليتناولوا الغداء على طاولات صغيرة مثل التي تجلس عليها، تستمتع بأصوات الموسيقى والنسيم اللطيف الذي يأتي من النافذة. تناولت طعامها وشربت نبيذ العنبر، واخذت تقلب بيدها جواربها الحرير.

سعر الطعام لم يحدث فرقًا. ثم أعطت النقود للنادل وتركت له عملة معدنية إضافية على دُرجُه، وانحنى لها كأنها أميرة من العائلة الملكية.

كان لا يزال معها مال في حقيبتها، وأغراها مُلصق لعرض مسرحي صباحي، دخلت المسرح وبعد وقت قصير بدأت المسرحية.

المسرح مُكتظ بالناس وكان لا يزال هناك مقاعد كثيرة فارغة هنا وهناك، جلست في واحدٍ منهم بجانب نساء ترتدين ملابس جيدة، اللائي يذهبن هنا وهناك فقط لإضاعة الوقت وأكل الحلوى، وكان هناك أيضا العديد من الذين أتوا للمتعة، وللأمانة أن نقول أنه لم يكون هناك أحد من الناس في نفس وضع السيدة سومرز. حيث كانت هى كذلك الآن، المسرح والممثلون والناس في آنٍ واحد، لقد كانت مستمتعة بذلك.

ضحكت من الكوميديا وبكت أيضًا هى وإمرأة بجانبها على المأساة، تحدثوا سويا معًا ومسحت المرأة عينيها وشهقت في جزء صغير جدا من الرباط الشفاف المُعطَر الذي ترتديه، أخذت السيدة سومرز القليل من الحلوى عن طريق صندوق مررته أمامها تلك المرأة.

إنتهت المسرحية ثم توقفت الموسيقى، وانتهى الحشد. كان مثل حلم وانتهى، وكانت الناس متناثرة في كل الإتجاهات.

خرجت السيدة سومرز وذهبت لكي تنتظر التلفريك.

ظهر رجل بعينين ثاقبتين، يجلس أمامها، بدا وكأنه يدرس وجهها الباهت الصغير. كان لغز له أن يفهم مايراه. في الحقيقة، لم يفهم شيئًا إلا لو كان ساحرًا بما فيه الكفاية كي يكشف عن رغبة مثيرة للمشاعر، كان لديه رغبة قوية أن تظل السيدة سومرز أمامه وألا يتوقف التلفريك أبدًا في أي مكان، بل يستمر في الذهاب إلى الأبد.

الندم

كانت مامزيل أوريلي لديها جسد جذاب وقوي، خدين كالورد، وشعر يتغير لونه من البني للرمادي، نظراتها صريحة وثاقبة، في المزرعة ترتدي قبعة كالرجال وثوب عسكري قديم بلون أزرق، وحذاء طويل ترتديه عندما يكون الطقس باردًا.

لم يكن الزواج جزءاً من تفكيرها ولم تقع في الحب من قبل، تقدم لخطبتها رجل عندما كانت في عمر العشرين -لكنها رفضت، ولم تندم على هذا وهى في سن الخمسين الآن.

إمرأة وحيدة، متدينة، لديها بندقية ولا يوجد معها سوى كلبها "بونتو" وبعض الزنوج المقيمين في منازل تمتلكها، يزرعون المحاصيل ويعتنوا بالطيور وقليل من الأبقار واثنين من البغال.

وقفت مامزيل أوريلي بمزرعتها في صباح إحدى الأيام تتأمل مجموعة من الصغار ظهروا فجأة بطريقة غير متوقعة وبشكل مثير للإرباك، لم تكن مُرحِبة بهم بسبب ذلك.

كانوا أبناء جارتها "أوديل" الغير مُقربة منها.

جاءت هذه المرأة قبل خمس دقائق مما حدث واصطحبت أطفالها الأربعة حاملة على ذراعها إبنها الصغير لودي، تجر تاينومي العنيد بيدها ولحقَ بها بخطوات كلا من مارسيليت ومارسيلين.

كان وجهها أحمر ومُعكر من الدموع والحزن بسبب أنها تلقت خبر إصابة والدتها المقيمة بمنطقة قريبة في مرض خطير، وكان زوجها مسافر لمكان بعيد بولاية تكساس – وكأنه على بعد مليون ميل منها-، كان فالسين ينتظرها بعربة يجرها بغل- لكي يأخذها إلى المحطة.

قالت الشابة :

-لا أشك يامامزيل أنك سترعي صغاري حتى أعود، ولو كان لي خياراً آخر ما قصدت إزعاجك ويعلم الله هذا، صغاري أصابوني ببعض الجنون، فربما لا أجد أمي على قيد الحياة عندما أصل.

قالت تلك الكلمات وهي ترتعش وذهبت تاركة أسرتها ورائها، كانوا متجمعين بحيز ضيق في حدود الظل أمام المنزل المنخفض، وأشعة الشمس تنزل على الألواح الخشبية البيضاء، كان الدجاج ينقر العشب أسفل السلم، تسلقت إحدى الدجاجات السلم بحركة ثقيلة، روائح ورود جميلة تفوح في الهواء، وأصوات ضحك الزنوج تسري عبر مزارع القطن المُزهَر.

وقفت مامزيل أوريلي تراقب الصغار، دققت النظر في مارسيلين التي تركتها أمها تعاني من غل لودي السمينة، ودققت بنفس العين إختلاط دموع مارسيلين الصامتة بالشغب الصاخب لتاينومي.

وأثناء هذا التأمل هيأت نفسها لتحمل المسؤلية وأخذت قرار فيما يجب فعله مع الأطفال وذهبت لإطعامهم.

ولو كانت مسؤوليتها تبدأ وتنتهي عندما تُطعم الأطفال لكان بإمكانها إطلاقهم بعدها. ولكنهم ليسوا خنازيرًا صغيرة، فهم يحتاجون الى عناية وإنتباه لم تكن تتوقعهما أو مستعدة لهما.

لم تُحسن مامزيل أوريلي رعاية الأطفال في أول الأيام، فكيف لها معرفة أن مارسيليت تبكي بصوتٍ عالٍ لو تكلم معها أحد ؟ وهذا ما ميز مارسيليت، استطاعت التعرف على ميل تاينومي بقطف أزهار الحديقة بحجة فحص مكوناته النباتية.

قالت مارسيلين :

- كُفى عن التحدث إليه يا مامزيل أوريلي واربطيه بالكرسي، أمي تفعل هذا عندما يسئ التصرف.

وبالفعل ربطته مامزيل أوريلي بكرسي كبير واستفادت من ذلك بأنه ذهب في نوم عميق بسبب ارتفاع درجة الحرارة بعد الظهيرة.

أمرت مامزيل الأطفال بالذهاب إلى النوم كأنها تأمر الدجاج أن يتوجه إلى الحظيرة ولكنهم لم يستجيبوا على الفور. ماذا عن ملابس نومهم البيضاء التي أحضروها ؟، يجب عليها إخراج تلك الثياب من كيس الوسادة وتنفضها كالسوط.

وماذا عن وعاء المياه ووضعه في وسط الغرفة لكي يغمسوا فيه أقدامهم المُتَرَبَة، المُتعبَة والمُحَمَرَة بفعل الشمس وتُغسَل وتصبح نظيفة وجميلة ؟

ضحكت كلا من مارسيلين ومارسيليت لأن مامزيل أوريلي إعتقدت أن تاينومي يمكنه النوم قبل حكي قصة أو قصتين له، أو تنام لودي قبل أن تغني لها وتهز سريرها.

همست مامزيل أوريلي لطباختها :

- أقول لك شيئا يا عمة روبي، أفضل لي أن أعتني بمزارعي الإثنى عشر على أن أرعى أربعة أطفال، لا تتكلمي عن الأطفال.

ردت العمة روبي :

- لا أعتقد أنك تعرفين أي شئ عن الأطفال يا مامزيل أوريلي، أفهم ذلك جيدا لأني رأيت هذا الطفل بالأمس وهو يلعب بمفاتيحك، هل تعرفين بأن الطفل الذي يلعب بالمفاتيح يصبح في الكِبر عنيدا تمامًا ؟ وأيضا الطفل الذي ينظر دائما للمرآه تشتد

أسنانه، هذه أشياء يجب معرفتها عن الأطفال عند تربيتهم وإدارة شؤونهم.

بالتأكيد لم تتدعي مامزيل أوريلي أنها لم تكن تعرف هذا كمعرفة روبي التي قامت بتربية خمسة ودفنت ستة، وشعرت بالمتعة لتعلمها بعض من مهارات الأمومة والتي استفادت منها حاليا.

وحتى لا تتسخ ملابسها بسبب أصابع تاينومي المُلوثة بنبات الدبَق، بحثت مامزيل عن ستراتٍ بيضاء لم ترتديها منذ فترة، وأُجبرت على أن تتعود على قبلات الطفل المليئة بلُعابه، وكانت القبلات تعبيراً عن طبيعة الأطفال في المحبة والود. أحضرت علبة خياطتها ووضعتها بالقرب لإصلاح وترقيع أي ثوب يتمزق، أخذت عدة أيام لكي تتعود على فوضى الأطفال وكثرة الكلام والضحك والبكاء المنتشرين في أنحاء المنزل طوال اليوم، لم تستطيع النوم في أول ليلتين بينما كان جسد الطفلة لودي مُلامس جسدها، وأنفاسها الهادئة تمر على خدها وكأنها رفرفة جناح طير.

وبعد مرور أسبوعين تعودت مامزيل أوريلي على كل هذا ولم تشتكي منه .

وذات ليلة بعد الاسبوعين، كانت مامزيل تراقب الماشية وهى تأكل طعامها حيث رأت عند منحدر الطريق العربة الزرقاء الخاصة بفاسلين.

كانت جارتها أوديل بداخل العربة وبدت في حالة يقظة ورأس مرفوع، وبدا من ملامح وجهها أنها سعيدة بعودتها الى بيتها. لكن العودة الغير معروفة والغير متوقعه جعلت مامزيل في حالة من الإنفعال الشديد.

تجمع أبناء جارتها أوديل، "أين تاينومي؟"

إنه في حظيرة الماشية – "ومارسيلين ومارسيليت ؟"

"تقومان بصنع لعبة في أحد الأرجاء." ولودي بأمان حيث كانت مامزيل أوريلي تحتضنها.

صاحت لودي عندما لمحت العربة لأنها تعلم أن أمها بداخلها وأنها عادت.

إنقضى الصخَب كله ورحل الأطفال، وكل شئ عادي للسكون كما من قبل.

وقفت مامزيل أوريلي وهى تنظر وتسمع، إختفت العربة وامتزج لون شفق الغروب الأحمر بلون المساء الرمادي عبر السهول حتى إختفى الطريق.

لم تسمع صوت عجلات العربة، ولكنها لاتزال تسمع صوت صياح الأطفال الممزوج بفرحهم من بعيد.

عادت مامزيل أوريلي إلى البيت وكان هناك الكثير من العمل يجب عليها القيام به بسبب أن الأطفال تركوا البيت غير مُنظم، لم تبدأ بالترتيب أو التنظيف مباشرةً.

جلست بجانب الطاولة وأخذت تنظر في أنحاء الغرفة، بينما كان الظلام يزداد من حولها وانتابها شعورًا بكثيرٍ من الوحشة والفراق. سقطت رأسها على ذراعها وراحت في البكاء.

كانت تبكي كثيرا، ليس بكاءًا كبكاء النساء الهادئ كما تفعل النساء في الغالب، كان بكاءًا كبكاء الرجال مع تنهيدات تكاد تُمزق روحها، كان كلبها بونتو يلعق يدها بلسانه، لكنها لم تلاحظ ذلك.

السجائر المصرية

عندما عاد صديقي المهندس المعماري من سفره إلى الشرق، جلبَ لنا العديد من التحف التي جمعها أثناء زيارته. قال وهو يحمل صندوقًا صغيرًا يضعه في يده :

- أنت مُدخنة وهذا الشئ لكِ، يمكنك أن تأخذيه. لقد أعطاني إياه أحد العاملين في القاهرة والذي قمت معه بعمل جيد.

كان الصندوق مغطى بكيس زجاجي وورق أصفر، حيث يبدو وكأنه قطعة واحدة، لا يوجد به ختم أو علامة تجارية أو شئ يبين محتوياته.

فسألته :

- كيف أعرف أنها سجائر؟

أمسكتُ الصندوق وأدرتُه حيث خمَنت قبل فتحه.

ثم أعطاني صديقي أداة قَطع حادة وبعدها فتحتُ الغطاء بحكمة.

كان الصندوق يحتوي على سِت سجائر من الواضح أنها صُنعت يدويًا. كانت الأغلفة من الورق الأصفر الباهت، وكان التبغ إلى حد ما بنفس اللون. كانت السجائر أفضل من التركية أو المصرية العادية ويوجد خيوط مربوطة بكل طرف منها.

قدم لي واحدة وسألني :

- هل ستجربين واحدة الآن ؟.

جاوبته :

- ليس الآن، وليس هنا. إذا سمحت لي بالذهاب إلى مكان التدخين الخاص بك، فبعض النساء هنا يكرهن رائحة دخان السجائر.

تقع غرفة التدخين في نهاية ممر قصير، دخلت وفتحت النافذة الواسعة التي تطل على شرفة فوق الحديقة.

وفي المكان الذي جلست فيه يمكنني رؤية رؤوس الأشجار المتمايلة، وأوراق القيقب تتلألأ من أشعة الشمس وإلى جانبي يوجد أدوات كاملة لما يحتاجه المُدخن.

أشعلت السيجارة ووضعت الصندوق على حامل مثل الساعة الصغيرة التي كانت هناك تمامًا. بدا لي وكأني في سكتة دماغية وكانت الساعة الخامسة.

أخذت أتذوق السجائر المصرية طويلًا، كان الدخان الرمادي الغامق يبدأ صغيرًا منتفخاً ثم ينتشر ويتوسع ليملأ الغرفة بالكامل، شعرت أن أوراق القيقب غير ظاهرة وكأنها محجوبة بوميض بسيط لضوء القمر. وفجأة إنتابني إحساس بشئ مزعج داخل جسدي كله، ينتقل إلى رأسي مثل غازات النبيذ، سحبت نفس عميق آخر من السيجارة.

- آآاه، لقد عكرت الرمال خدي! سأكون هنا طوال اليوم ووجهي في الرمال. وعندما تحترق النجوم الدائمة، سأجر نفسي إلى النهر.

لن أعود أبدًا .. أنتبعه إلى الآن بأقدام مُتعثرة، أزحف على اليدين والركبتين مع الأذرع الممدودة. وهنا سقطت تماماً في الرمال.

غطت الرمال خدي وملأت كل جسدي، تسحقني الشمس بحرارتها التي تعذبني، وهناك بعض من الظل تحت مجموعة من النخيل، سأبقى هنا في الرمال حتى يحين الليل.

ضحكتُ من الأوهام وسخرت من النجوم عندما قُلت لنفسي أن بعد متعة الحياة سأفتح ذراعي للموت، وتغمرني المياه.

يااااه ! كيف يضرب الرمل خدي ! لم يكن هناك دموع لتبريد حريق الشمس، فالنهر بارد والليلة ليست بعيدة.

أِلتفتُ إلى الآلهة وقُلت :

- لا يوجد غير واحد، "برادجيا" هو إلهي.

كان ذلك عندما غطيت نفسي بالزنابق ونسجت إكليلًا من الزهور ووضعته على شاطئ النهر حيث المياه تأتي ضعيفة.

لن يعود أبدًا، إلتفتَ من على جملِهِ وهو يركب من بعيد، ينظر إلىّ ويضحك، حيث تظهر أسنانه البيضاء اللامعة. كان كلما قَبَلَني وذهب بعيدًا أعلم أنه سوف يعود مرة أخرى،وأيضاً يعود دائماً كلما كان متعصبًا وغاضباً، لكن في هذه المرة لم يُقبلني ولم يكُ غاضبًا.

قال فقط :

- يااه، لقد سئمت من القيود والقُبلات، ومنكِ!. أنا ذاهب بعيدًا إلى المدينة العظيمة حيث يكون الرجال مثل النحل. ذاهب إلى ما وراء الزمن ،حيث يرتفع الوحش الحجري إلى السماء في نصب تذكاري للعصور التي لم تولد بعد، آاه، لقد سئمت، لن تريني بعد الآن.

قال هذا وركب على جمله. إبتسم إبتسامة قاسية، بينما كان ينظر إلىّ وهو يركض بجملِهِ هناك.

كم كانت بطيئة ساعات الزحف ! يبدو لي أنني أمضيت هنا أيامًا في الرمال، أتغذى على اليأس، اليأس مرير لكنه يمكن أن يبعث العزيمة.

أسمع طائر يرفرف بجناحيه فوق رأسي، ويحلق بمستوى منخفض بشكل دائري.

الشمس غابت، يزول الرمل من بين شفتيّ وأسناني ومن تحت لساني المُتجمد. إذا رفعت رأسي فربما أرى نجمة المساء.

ياااه ! الألم بذراعي وساقي ! جسدي يؤلمني وبه كدمات كما لو كان مكسورًا. لِما لا أستطيع القيام والجري كما فعلت هذا الصباح ؟ لماذا يجب عليّ أن أزحف هكذا مثل ثعبان جريح ؟

النهر قريب جدا. أسمع صوت المياه -أراه- ياه !

الرمل ! يا للجمال ! إنه رائعًا !

الماء ! الماء في عيني، في أذني وحلقي ! إنه يضايقني ! أريد المساعدة، هل الآلهة ستمتنع عن مساعدتي ؟!

يالهذا الإختطاف الجميل حيث الراحة ! هناك موسيقى في المعبد. وهنا فاكهة حسب الإختيار والذوق. جاء "برادجيا" مع الموسيقى - حيث القمر مضئ والنسيم هادئ.

- دعنا نذهب إلى حديقة الملك وننظر إلى الزنبق الأزرق، "برادجيا".

بدت أوراق القيقب وكأنها تلتف بضوء فضي. الدخان الرمادي الغامق لم يعد كثيفًا بالغرفة. أرفع جفوني بصعوبة. بدا الوقت طويلًا وكأنه يخنق روحى التي ناضلت من أجلها كي تتحرر وتتنفس.

لقد تذوقت أعماق اليأس البشري. كان عقرب الساعة يشير إلى الخامسة والربع. السجائر لم يؤخذ منها الكثير. فقط كعب واحد من أثار التدخين موجود في مطفأة السجائر.

عندما نظرت الى السجائر بغلافها الباهت، تساءلتُ عما تخفيه من رؤى وأحلام أخرى، ماذا أجد فيها ؟ ربما رؤيا للسلام السماوي، حلم وأمل يتحقق، شعور الإختطاف وأشياء لم يتصورها ذهني.

أخذت السجائر وأمسكتها، ترجلت إلى النافذة ومددت يدي. كان النسيم الخفيف عالق بالأشعة الذهبية، يحملها، يلتف بها ويرقص بعيدًا بين أوراق القيقب. رفع صديقي الستار ودخل. ثم أحضر لي فنجانًا آخر من القهوة.

قال لي بدهشة :

- تبدين شاحبة ! أولستِ على ما يرام ؟

قُلتُ له :

- قليلًا، مجرد تخيُلات سيئة !.

المترجم

خالد ناصر ..

شاعر ومترجم، درس اللغة الإيطالية واللغة الإنجليزية وآدابها بمعهد القاهرة العالي للغات والترجمة الفورية.

ترجم العديد من المقالات والقصص القصيرة، نُشرت في بعض المجلات.

له تحت الطبع ديوان وترجمة لمجموعة قصصية أخرى بعنوان "لوكا". للكاتبة كيت شوبان.

الفهرس

كيت شوبان _____ ١
القُبلة، وقصص أخرى .. _____ ٥
ليلة في أكاديا _____ ١١
رسائلها _____ ٤٩
القُبلة _____ ٦٩
حدث في ساعة _____ ٧٩
زوج من الجوارب الحريرية _____ ٨٧
الندم _____ ١٠١
السجائر المصرية _____ ١١٣
المترجم _____ ١٢٣
الفهرس _____ ١٢٥